جامع سيدي محرز فى تونس ــ نموذج للطراز المعماري العثماني بشمال أفريقيا

د.عبد الله عطية عبد الحافظ*

مقدمة

كان من الطبيعى أن تهتم الدولة العثمانية بتونس فى شمال أفريقيا خاصة بعد أن قامت هناك ولايتان عثمانيتان وهما ولاية الجزائر، وولاية طرابلس ، وقد كانت هناك عدة عوامل تحتم على السلطان العثماني الإسراع بفتح تونس وضمها إلى بقية الولايات العثمانية في شمال أفريقيا،من ذلك الموقع الجغرافي الممتاز لتونس حيث إنها تقع في منتصف الساحل الشمالي لقارة أفريقيا تقريبا، وتقع بين الجزائر وطرابلس ، وأيضا قربها من إيطاليا أحد معاقل المسيحية فى أوربا ، وقربها كذلك من جزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا حلفاء الإمبراطور شارل الخامس وأشد الطوائف المسيحية عداء للإسلام والمسلمين ، هذا بالإضافة إلى الإمكانيات الكبيرة التي تتيحها موانئ تونس فى التحكم فى الطرق البحرية فى البحر المتوسط. كل هذه العوامل أضافت على موقع تونس أهمية كبرى لاسيما من الناحية العسكرية واتخاذها كقاعدة فى الصراع المستعر بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الأسبانية وقد أدرك السلطان سليمان القانوني[1] أهمية موقع تونس ،لهذا عقد العزم على فتحها ، وبالفعل استدعى السلطان سليمان القانوني خير الدين بارباروس باشا من الجزائر ووصل خير الدين إلي إستانبول سنة ١٥٢٣ م على رأس بعض القوات من قطع الأسطول العثماني .وعهد السلطان سليمان إلي خير الدين بارباروس بإعادة بناء وتنظيم أسطول الدولة والإشراف عليه . وطلب منه إعداد السفن وما يلزم للاستيلاء على تونس وجعلها ولاية عثمانية .وبالفعل كانت أول مهمة يقوم بها خير الدين بارباروس كقائد للأسطول العثماني هو الاستيلاء على تونس وضمها إلى حوزة الدولة العثمانية . وكان خير الدين باشا قد وصل إلى تونس على رأس حملة عسكرية مكونة من ثمانين سفينة وثمانية آلاف جندي[2] ،واستولى خير الدين بارباروس على قلعة حلق الوادى،وسقطت في يده بعض المدن الساحلية . ولم يستطع حاكم

---

* *مدرس الآثار والتاريخ الإسلامي ــ كلية الآداب – جامعة المنصورة

[1] السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم الأول ووالدته حفصه خاتون، ولد فى طرابزون سنة ١٤٩٥ م وكان والده واليا عليها قبل توليه السلطنة العثمانية . توفى سليمان القانوني سنة ١٥٦٦ م وهو من أعظم سلاطين آل عثمان ، بلغت فترة حكمه حوالي ٤٦ سنة (١٥٢٠ ــ ١٥٦٦ م) ووصلت الدولة العثمانية فى عهده إلى أوج مجدها واتساعها . أهتم بتنظيم قوانين الدولة وعمل على تطبيقها بصرامة وحزم ولهذا لقب بالقانوني . استولي على رودوس عام ١٥٢٢ م وعلى المجر عام ١٥٢٦ م وحاصر فينيا عام ١٥٢٩ م وبواسطة أسطوله البحري الضخم والقوى ضم شمال أفريقيا إلى أملاك الدولة العثمانية وضم تبريز للمرة الرابعة إلي دولته . قضى كل حياته فى الجهاد والفتوحات وتوفى فى أحد المعارك حيث خرج على رأس حملة عسكرية كبيرة لحصار قلعة مدينة زكتيور Zigetvar بالمجر واستشهد قبيل سقوط القلعة ونقل إلي إستانبول حيث دفن فى الضريح الملحق بجامع السليمانية ، وكان يبلغ من العمر عند وفاته ٧١ عاما . قام بإنشاء مجمعات معمارية ضخمة فى مدن وولايات الدولة من أهمها مجمع السليمانية الضخم فى إستانبول .انظر : محمد ثريا : سجل عثمانى ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ، جلد١ ، إستانبول ١٣٠٨ هـ ، ص ٤٣ Abdülkadir Dedeoğlu : Osmanlilar Albümü. C.I , Istanbul . Tarihsiz p .51

[2] عبد العزيزمحمد الشناوى :الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،جـ٢،القاهرة١٩٨٠ص٩١٦.

تونس مولاى حسن الحفصى الصمود أمام القوات العثمانية، ففر مع بعض أتباعه ،وحاول بعد ذلك جمع أعوانه لمحاربة القوات العثمانية، لكنه فشل فى ذلك، ولجأ بعد ذلك إلى الإمبراطور شارل لمساعدته، وهكذا سقطت تونس فى يد القوات التركية العثمانية وكان ذلك فى أغسطس من عام ٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م)[٣]. وكان لاستيلاء الأتراك العثمانيين على تونس أثر سيئ فى نفوس الأسبان ،حيث كان الإمبراطور شارل الخامس يدرك الأهمية العسكرية لموقع تونس فى السيطرة على الملاحة فى حوض البحر المتوسط ،واعتبر أن هذا النصر الإسلامي العثماني بمثابة تهديد مباشر للمواصلات البحرية بين أسبانيا وإيطاليا ونظر إلى هذا النصر على أنه انتصار للإسلام وهزيمة للمسيحية وتشجيع لمجاهدي شمال أفريقيا على مواصلة الهجوم على السواحل الأسبانية ومساعدة وإنقاذ الموريسكين[٤].ولهذه الأسباب قرر الإمبراطور شارل الخامس إعداد حملة عسكرية كبيرة لغزو تونس واستردادها من الأتراك وبالفعل تمكن من تجهيز جيش كبيروأسطول ضخم،وخرج بنفسه على رأس هذه الحملة، ووصل بقواته إلى ميناء حلق الوادي وكان ذلك عام ١٥٣٥م، ونزلت قواته التي بلغ عددها ٢٥٠٠٠ جندى إلى حلق الوادي ، وقامت معارك بينها وبين القوات العثمانية بقيادة خير الدين بارباروس باشا،وكان النصر حليفا للأسبان نتيجة كثرة عدد قوات الأسبان وخيانة بعض العرب من أتباع حسن الحفصى الحاكم السابق لتونس،وانسحب خير الدين بارباروس بقسم من قواته وأسطوله إلى الجزائر ،وبعد أن استقرت الأمور ترك الإمبراطور شارل الخامس بعض قواته وقطع من الأسطول لحماية مولاي حسن الحفصى الذي وافق على حكم تونس تحت حماية ورعاية الأسبان واستمر فى الحكم بالفعل لمدة خمس سنوات من (١٥٣٥ إلى ١٥٤٠) إلى أن خلفه ابنه أحمد سنة ١٥٤٠[٥].وكان لسقوط تونس فى أيدي القوات المسيحية الأسبانية أثره السيئ عند الأتراك العثمانيين وكذلك عند مجاهدي شمال أفريقيا . ومنذ ذلك الحين والسلطان العثمانى يتحين الفرصة تلو الأخرى لإعادة فتح تونس مرة أخرى وإعادتها لحظيرة الدولة العثمانية مرة أخرى . وسيطر القلق على الأستانة لاسيما وأن الإمبراطور شارل الخامس كان يهدف من الاستيلاء على تونس اتخاذها قاعدة لإعداد قواته والانطلاق منها إلى الجزائر بهدف القضاء على النفوذ العثماني فى البحر المتوسط . ولكن انشغال السلطان العثماني فى منطقة البلقان وحملاته العسكرية فى هذه المنطقة جعله يرجئ شأن تونس بعض الشيء . وفى الواقع كانت الدول الأوربية تخشى توحيد المغرب العربي مرة أخرى تحت سلطة دولة إسلامية كبرى مثل الدولة العثمانية، ولهذا كانوا ينظرون إلى انتصارات شارل الخامس فى تونس على أنه من الصفحات المجيدة فى تاريخهم ، حتى فرنسا حليفة الدولة العثمانية كانت تشاركهم هذه الرؤية [٦].وفى عهد السلطان سليم الثاني[٧] ونتيجة لاحتلال الأسبان لبعض النقاط

---

[٣] Ismail Hakki Uzunçarşili : Osmanli Tarihi .C . 2 . 5. Baski .Ankara 1988.P373

[٤] عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ص ٩١٦

[5] Uzunçarşili .Op. Cit. P .373

[٦] صلاح العقاد:المغرب العربي،دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة،ط ٥،القاهرة ١٩٨٥ ،ص ١٨

[٧] السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني ووالدته خرام سطان،ولد فى ٢٨ مايو من عام ١٥٢٤ م وتوفى فى ١٥ ديسمبر سنة ١٥٧٤م،وكانت فترة حكمه ثماني سنوات مثل جده سليم الأول (١٥٦٦ – ١٥٧٤). تم فى عهده فتح جزيرة قبرص بعد حصار ومعارك ضارية استمرت لمدة عام ، وقد اتسعت رقعة الدولة العثمانية فى عهده عن ذي قبل ، وفى عهده أيضا تم تجديد الأسطول العثماني و استطاع عن طريقه فتح تونس وضمها نهائيا إلى الدولة العثمانية . قام

والمواقع على ساحل تونس مرة ثانية ودعوات ونداءات بعض كبار رجال الدولة التي كانت تطالب السلطان بإعلان الجهاد وطرد الأسبان من تلك السواحل الإسلامية، وبالفعل استجاب لهم السلطان سليم وعهد بهذه المهمة الصعبة لأحد كبار رجال الدولة وهو الوزير و الوالي سنان باشا[٨]،وكان متواجدا فى إستانبول في ذلك الوقت، وبالفعل أعد سنان باشا حملة عسكرية كبيرة ، وكان برفقته قائد البحر قليج على باشا وأبحرت القوات العثمانية متجهة إلي تونس عن طريق البحر ويقال إن عدد السفن بلغ ثلاثمائة سفينة وعدد الجنود أربعين ألف جندى . ووصلت القوات التركية إلى تونس فى ٢٤ ربيع الثاني سنة /٩٨١هـ / ١٥٧٣ م . وتم حصار قلعة حلق الوادى لمدة شهر إلى أن سقطت فاستولى الأتراك على القلعة وعلى الأسلحة والمدافع التى تركها الأسبان خلفهم، وتم أسر حاكم تونس مولاى محمد . وقام سنان باشا بتدمير تحصينات وأبراج قلعة حلق الوادى حتى لا تقع فى يد الأسبان مرة ثانية . وسقطت قلاع أخرى صغيرة كانت بحوزة الأسبان[٩]،والواقع أن نجاح الجيش العثمانى فى حملته على تونس وتمكنه منها تماما فى هذه المرة ،إنما يعود إلى براعة القائد سنان باشا والإعداد الجيد لهذه الحملة العسكرية، وكذلك مساعدة باشوات الجزائر وطرابلس والقيروان حيث تفاهموا فيما بينهم واتفقوا على الانضمام بجيوشهم للثأر من الأسبان ولمساعدة الجيش

بإنشاء العديد من العمائر من أهمها جامعه الضخم فى أدرنة المعروف بالسليمية وهو من أعمال معمار سنان الأخيرة وقام بترميم جامع آيا صوفيا وألحق به ضريحا دفن فيه عند وفاته . انظر :
-Reşad Ekrem Koçu : Osmanli Padişahlari , Istanbul 1981 , PP. 152- 57; Dedeoğlu , Op . Cit , P53

[٨]- سنان باشا هو الوزير والوالي والصدر الأعظم ،أحد أعظم الشخصيات التى لعبت دورا كبيرا ومؤثرا فى تاريخ الدولة العثمانية . وعرف بأكثر من لقب فى المصادر التركية فتلقب بـ قوجه (أى العظيم والكبير) ، وفاتح اليمن لأنه قام بفتح اليمن وإخضاع بقية الأجزاء التى لم تكن قد خضعت للدولة العثمانية ، وأيضا تلقب بفاتح تونس لأنه فتح تونس سنة ١٥٧٤ . ولد سنان باشا فى منطقة لوما بولاية الأرناءود (ألبانيا)سنة٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م . عين واليا على أكثر من ولاية عثمانية حيث عين واليا على أرضروم وبعدها واليا على مصر فى سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م ومنها توجه إلى اليمن لإخماد الفتن والاضطرابات بها وعاد منتصرا إلى إستانبول ، ثم عاد مرة أخرى واليا على مصر للمرة الثانية سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧٢ م . وقد عاصر سنان باشا أكثر من سلطان عثمانى حيث امتد به العمر فخدم مع السلطان سليمان القانونى والسلطان سليم الثانى والسلطان مراد الثالث والسلطان محمد الثالث ، ولهذا أطلق عليه لقب " قوجة " تعظيما لقدره ودوره فى الحياة السياسية والعسكرية بالإضافة إلى دوره كوال عثمانى لبعض الولايات العثمانية . تولى سنان باشا منصب الصدر الأعظم خمس مرات وكان فى كل مرة يعزل ثم يعود إلى نفس المنصب إلى أن توفى وهو فى هذا المنصب فى الخامس من شعبان سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م . وقد حقق سنان باشا ثروة طائلة أثناء حياته أنفق معظمها على المنشآت والعمائر الكثيرة والمتنوعة التى شيدها فى إستانبول وغيرها من الولايات العثمانية ومنها مصر وتشير المصادر المعاصرة إلى أنه أنشأ مائة جامع فى الولايات والمدن العثمانية . دفن سنان باشا عند وفاته فى الضريح الذي ألحقه بمجموعته المعمارية الضخمة فى إستانبول . انظر :
محمد ثريا : سجل عثمانى ، جلد ٣ ص ١٠٩-١١٠ ؛عبد الله عطية عبد الحافظ " نماذج من منشآت ولاة مصر العثمانيين فى استانبول " بحث بكتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى (٣٠ نوفمبر – ١ ديسمبر ١٩٩٨) القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠
- Ahmet Baltaci ; Yemen Fatihi Sinan Paşa Kűlliyesi (LŰ. Ed . Fak. Sanat Tarihi Bl .Mezuniyet Tezi) Istanbul .1965 , P.1 ; Ş erafettin Turan " Sinan Paşa , Koca" IslamAnsiklipedisi, C.10, (Istanbul Milli Eğitim Basimevi) Istanbul 1979, P . 670

[٩] Uznçarşili , Op . Cit, P.30

العثمانى؛ وبذلك تم فرض الحصار على قلعة حلق الوادى من البحر ومن البر ودارت المعارك وانتصرت القوات العثمانية الإسلامية كما رأينا[١٠]. وبعد أن استقر الأمر للأتراك العثمانيين فى تونس، قام القائد سنان باشا بأول محاولة لتنظيم إدارتها كولاية أو إمارة تابعة للدولة العثمانية ،وقد استفاد سنان باشا من النظم التى كانت متبعة فى تونس منذ عهد الحفصين،وبالفعل أعاد سنان باشا تنظيم الإدارة والحكومة المحلية بتونس، وترك بها قوة عثمانية بلغت أربعة آلاف رجل، تم تقسيمهم إلى أربع فئات أو فرق وعين على رأس كل منها قائداً أو رئيساً منحه لقب "داى "[١١]، وعهد برئاسة الحكومة والإدارة المحلية إلى أحد الرجال المخلصين وهو حيدر باشا عامل القيروان ،وأنشأ ديوان أو مجلس وصاية اقتبس نظامه من ديوان مصر وديوان الجزائر[١٢].وصارت الخطبة فوق منابر المساجد باسم السلطان العثمانى وكذلك ضرب اسمه على الدينار وعلى الدرهم. ولم يستمر نظام الولاية طويلا فىتونس، ونعنى بذلك إدارة البلاد عن طريق وال أو باشا تركى يأتى من الأستانة وكان يتبع الحكومة المركزية فى إستانبول بشكل مباشر، فقد اضمحل نفوذ الباشوات والولاة الأتراك أمام نفوذ وقوة الدايات والعسكر الذين قاموا بكثير من حركات التمرد من أهمها التمرد أو الانقلاب العسكرى الذى قاموا به سنة ١٥٩٠ م، وبعد ذلك التاريخ صار يحكم تونس دايات مغامرون. ولم تتدخل الدولة العثمانية من أجل تغيير هذا الأمر بل أقرته واستمر حكم الدايات فى تونس فترة ليست قصيرة إلى أن انتهى مع قيام نظام حكم الأسرة الحسينية والذى أقامه رأس هذه الأسرة الباى حسين بن على سنة ١٧٠٥ م، وقد عرف بعصر أو فترة حكم البايات[١٣] الحسينين[١٤] .

---

١٠ البارون الفونص رو سو : الحوليات التونسية منذ الفتح العربى حتى احتلال فرنسا للجزائر ، ترجمة وتحقيق د. محمد عبد الكريم الوافى ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازى ١٩٩٢ص ١٠٣ وحاشية رقم(١)

١١ "داى " من الكلمة التركية "دايى أو طايى Dayi"، وتعنى فى اللغة التركية أخا الأم أي الخال ، وتطلق هذه الكلمة كذلك على الرجل الشجاع الذى لا يخشى الحرب ، ومن معانيها أيضا قائد السفينة الحربية وقائد الفرقة العسكرية والرئيس وفى العصر العثمانى صار يطلق هذا اللقب على حاكم إمارة تونس بعد ضمها إلى أملاك الدولة العثمانية بصفة نهائية . وكان الدايى أو الداى ينتخب من أعضاء مجلس الديوان الذى يسير شئون تونس وكان الداى هو الحاكم الفعلى والقوى انظر:
شمس الدين سانى : قاموس تركى ط ٢ إستانبول ١٩٨٧ ص ٨٧٤

Mehmet zeki Pakalin : Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri sözlüğü ,C 1,3.Baski , Istanbul 1983,P. 407

١٢ الفونص روسو : المرجع السابق ص ١٠٥ ؛ صلاح العقاد : المغرب العربى ، ص ٣٠

١٣ الباى "Bay" كلمة تركية قديمة كانت تستخدم عند الأتراك القدماء بمعنى الغنى صاحب الثروة والجاه وبعد اعتناق الأتراك الإسلام استمر استخدامها بنفس المعنى كصفة تعنى الثراء والغنى وتطور معنى هذه الكلمة بعد ذلك لا سيما عند الأتراك القاذاق والقاذان والقرم فصارت تعنى الحاكم والسيد وكذلك القاضى وتستخدم نفس الكلمة فى بعض اللهجات التركية الأخرى بمعنى الشجاع والقائد أى أن هذه الكلمة استخدمت فى الكثير من اللهجات التركية كلقب أو صفة استخدمت كلمة باى فى لهجة أتراك الأناضول (السلاجقة والعثمانيين) بمعنى السيد وإذا وردت هذه الكلمة قبل الأسم الشخصي فتكتب باى Bay وتنطق مفخمة أما إذا جاءت بعد الاسم الشخصى فتكتبBey وتنطق مخففة "بيه " وتستخدم بنفس المعنى والنطق فى مصر وبعض البلاد العربية . أما فى تونس فقد استخدمت بشكلها المفخم "باى " وجمعت بايات ونعنى كما أتضح من البحث والدراسة اللغوية السيد والثرى والشجاع والقائد والحاكم . ويبدو أن القادة العسكريين الذين سيطروا على مجريات

الطراز المعمارى العثمانى فى تونس

بعد أن استقر وضع إمارة تونس وخضعت بشكل كامل للدولة العثمانية، نجد أن مظاهر فنون وحضارة هذه الدولة بدأت رويدا رويدا فى التأثير على الطراز المعمارى والفنى المحلى فى تونس . وهذا أمر طبيعى حيث ظهرت أساليب فنية ومعمارية وفدت إلى البلاد العربية التى فتحها الأتراك العثمانيون قبل تونس مثل سوريا ومصر، ومن المعروف أن التأثيرات الفنية العثمانية لم تظهر فجأة بعد الفتح العثمانى مباشرة،ولكن ظهرت بعد استقرار الأمور فى الولايات ووفود الأتراك بأعداد كبيرة لإدراة شئون الإمارات كقادة وجيوش، وبطبيعة الحال أراد هؤلاء تأكيد ولائهم للحكومة المركزية فى إستانبول، ولهذا عمل الولاة والقادة الأتراك على ترك بصمات لهم فى الولايات التى حكموها ،فشرعوا فى تشييد شتى أنواع العمائر من جوام ومدارس وأسبلة وغيرها ، وجاءت هذه العمائر متأثرة بفنون العاصمة إستانبول . ومن الجدير بالذكر أن العمائر التى شيدت فى كافة الولايات العربية العثمانية خلال الحقبة العثمانية، جاء القليل منها فقط وفق الطرز المعمارية التركية ، أما غالبية العمائر فقد شيدت وفق الطرز المحلية الموروثة التى كانت قد ترسخت فى الأقاليم العربية ، وينطبق هذا الأمر على العمائر التونسية التى شيدت خلال العصر العثمانى . وقد بدأت العمائر المشيدة وفق الطرز المعمارية العثمانية فى الظهور بتونس فى بداية القرن السابع عشر الميلادى ، حيث أخذ القادة المحليون بعد أن استقرت الأمور، فى إنشاء عمائر دينية كالجوامع والمدارس والأضرحة وغيرها من العمائر الأخرى كالقصور والأسبلة والجسور، وذلك بعد فترة من اهتمامهم بالمبانى الحربية كالقلاع والأسوار والحصون،وذلك بهدف تأمين حدود وسواحل تونس ضد الأخطار الأوربية[١٥] . ونود أن نشير إلى أن العمائر التى شيدت وفق الطراز المعمارى العثمانى البحت، قليلة جدا فىتونس أما غالبية العمائر فقد شيدت وفق الطرز التونسية المحلية الموروثة من العهود السابقة، ولكن تأثرت تلك العمائر أيضا بتأثيرات فنية متعددة عثمانية وأندلسية وكذلك أوربية .هذا المزيج من التأثيرات الفنية التى ظهرت فى عمائر تونس و التى تعود إلى العصر العثمانى، كان نتيجة طبيعية لما كانت عليه أوضاع البلاد والتركيبة السكانية بها ، فالتأثيرات التركية جاءت نتيجة للفتح العثمانى لتونس ووفود ولاة أتراك وجيوش عثمانية ، وكذلك حرص بعض القادة المحليين من الدايلت والبايات على إظهار الولاء للدولة والحكومة المركزية بالأستانة والتقرب إليها عن طريق إنشاء عمائر تحمل الطابع التركى العثمانى[١٦] . والتأثيرات الفنية الأندلسية جاءت نتيجة هجرة آلاف المسلمين الأندلسيين واستقرارهم فى تونس بعد طردهم نهائيا من أسبانيا وكانت هذه الجالية الأندلسية الكبيرة تحتوى على مجموعة كبيرة من المعماريين والصناع وأصحاب

الأمور فى تونس بعد سنوات قليلة من فتحها وضمها للدولة العثمانية أرادوا أن يعبروا عن مكانتهم وسيطرتهم على البلاد عن طريق إطلاق بعض الألقاب التى تحمل دلالات معينة كالداى والباى . انظر :

Fahir Iz " Bay " Islam Ansiklopedisi , C.2 (Milli Eğitim Basimevi) Istanbul 1986 , pp. 355-357

[١٤] الفونص روسو : المرجع السابق ، ص ٣٧ ؛ صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٢٥ – ٢٦

[١٥] سليمان مصطفى زبيس : بين الآثار الإسلامية فى تونس ، دار الثقافة – تونس ١٩٦٣ ، ص ٣٠ .

[١٦] أندريه ريمون : العواصم العربية ، عمارتها وعمرانها فى الفترة العثمانية ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٦ ، ص ١٤٨.

الحرف وطوائف البنائين وغيرهم ، وقد عمل هؤلاء فى خدمة وطنهم الجديد تونس ،واستغل الأتراك مواهب هؤلاء فى أعمالهم المعمارية، ولذلك تظهر التأثيرات الأندلسية بشكل جلى فى كافة عمائر تلك الفترة سواء الدينية أو المدنية.أما التأثيرات الأوربية وخاصة الإيطالية فجاءت نتيجة عمل بعض الأسرى الإيطاليين ممن كانت لهم خبرة بالمعمار وفنون البناء ، وكذلك استقرار بعض الإيطاليين اللذين اعتنقوا الإسلام فى تونس[١٧] .وبالرغم من ظهور هذه التأثيرات الفنية المتعددة على العمائر التونسية فى العصر العثمانى إلا أنها لم تتخل عن طابعها التونسى وظل هذا الطابع مسيطرا على عمائر تونس العثمانية وهو الذى يميزها عن غيرها من العمائر التركية فى الأقاليم العثمانية الأخرى سواء العربية أو غير العربية . ومن أهم العمائر العثمانية التونسية إن لم يكن أهمها على الإطلاق جامع سيدى محرز موضوع الدراسة ؛ ذلك لأن هذا الجامع هو الوحيد بين الجوامع التونسية الذى اتبع فى تخطيطه والكثير من تفاصيله المعمارية والزخرفية الطراز التركى العثمانى . أما بقية الجوامع التونسية فصارت وفق الطرز التونسية المحلية مع استخدام عناصر زخرفية عثمانية، أو بمعنى آخر ظهر بها تأثير فنى عثمانى.

جامع سيدى محرز

شيد هذا الجامع الضخم حاكم تونس محمد باى المرادى بين سنوات ١٦٩٢ – ١٦٩٩ ، ويقع هذا الجامع فى حى باب السويقة . وقد عرف هذا الجامع بجامع سيدى محرز لوجوده أمام ضريح وزاوية الشيخ محرز بن خلف المتوفى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢م أى أن ضريح سيدى محرز أقدم بكثير من جامع محمد باى، ولهذا عرف الجامع باسم سيدى محرز . ويعد جامع سيدى محرز، الجامع الثالث الذى شيد فى تونس العاصمة فى العصر العثماني، وذلك بعد جامع يوسف داى (١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م) وجامع الباى حمودة باشا المرادى (١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م) والجامع الآن فى حالة جيدة من الحفظ ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الجامع قد تعرض لعمليات ترميم شاملة وأعيد افتتاحه سنة ١٩٨١ م فى عهد الرئيس التونسى السابق الحبيب بورقيبة ويوجد نص كتابى يفيد ذلك بمدخل الجامع الغربى ، ويقع جامع سيدى محرز فى منطقة حيوية بتونس العاصمة وهى منطقة حى باب السويقة،حيث تمتد الأسواق على جانبى الجامع . والجامع معلق يصعد إليه من خلال مداخل خارجية تؤدى إلى سلالم رخامية نصل من خلالها إلى الفناء الخارجى الذى يحيط بالجامع ، ولا يوجد للجامع صحن يتقدمه، كما هى العادة فى غالبية الجوامع التركية العثمانية،ولكن يوجد فناء يحيط به من جهاته الثلاث: الشمالية والغربية والشرقية ويحيط بهذا الفناء الخارجى أسوار تتخللها شبابيك ، وقد كسيت أرضية الفناء بألواح الرخام المربع الكبير ،ويطل الجامع على الفناء الخارجى بواسطة ثلاثة أروقة تحيط به من الجهات الشماليةوالغربيةوالشرقية،وتفتح هذه الأروقةعلى الصحن بواسطة عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة رخامية صغيرة . وقد شيدت عقود هذه الأروقة وواجهاتها بقطع الحجر الصغير المصقول ، أما الأعمدة وتيجانها فمن الرخام الأبيض ، وأسقف الأروقة الخارجية مسطحة وهى من الأخشاب ويكسوها من الخارج قطع القرميد ذات اللون الأخضر . وتظهر قبة الجامع الكبيرة الرئيسية وأنصافها الأربعة وكذلك القباب الصغرى فى أركان الجامع ، تظهر من الخارج بلونها الأبيض ، ويفتح جامع سيدى محرز على الأروقة الخارجية بمجموعة كبيرة من المداخل يبلغ عددها تسعة مداخل ، ثلاثة فى الجهة الشمالية وثلاثة فى الجهة

[١٧] سليمان مصطفى زبيس : المرجع السابق ص ٣١.

الغربية وثلاثة فى الجهة الشرقية وهناك ثلاثة مداخل فقط مميزة ويبدو أنها المداخل الرئيسية حيث يتوسط كل منها إحدى واجهات الجامع ، فهناك المدخل الأمامى الذى يتوسط الواجهة الشمالية ،وهو الذى يقابل المحراب ، والمدخل الثانى يتوسط الواجهة الغربية ، وأخيرا المدخل الثالث ويتوسط الواجهة الشرقية،وهذه المداخل الثلاثة لكل منها عقود حدوة فرس مكونة من قطع الرخام باللونين الأبيض والأسود ، وترتكز هذه العقود على أكتاف رخامية بها أعمدة صغيرة مدمجة، ويحدد المداخل وعقودها إطارات بالرخام الأسود، ويعلو كل منها شباك صغير مستطيل عليه حجاب من الخشب الخرط ، ويغلق على كل مدخل من هذه المداخل الثلاثة باب خشبى مكون من ضلفتين مستطيلتين ، ويلى الباب حجر أو مساحة مربعة صغيرة ثم باب آخر صغير من ضلفتين من الخشب ذات زجاج أبيض . أما بقية مداخل الجامع فتوجد بجوار المداخل الثلاثة الرئيسية والمحورية السابق ذكرها بمعدل اثنين بجوار كل مدخل ، واحد على يمينه وآخر على يساره ، ويعلو كل منها شباك مستطيل صغير عليه حجاب من الخشب الخرط ، ويغلق على كل مدخل من هذه المداخل ضلفتان من الخشب . ولم يهتم المعمار بهذه المداخل الجانبية حيث لم يضعها داخل عقود مثلما وضع المداخل الثلاثة التى تتوسط واجهات الجامع ، وتبدو هذه المداخل الجانبية وكأنها نوافذ أو شبابيك فتحت لكى تستخدم كمداخل للجامع بجانب المداخل الثلاثة الرئيسية . وبمعنى آخر فقد تميز جامع سيدى محرز بتونس بكثرة مداخله وهذا الأمر لم يتوفر فى الجوامع الأخرى التى تنتمى إلى الطراز العثمانى. وجامع سيدى محرز من الداخل عبارة عن مساحة مربعة كبيرة (٢٥م x ٢٥ م تقريبا) ، ويغطى هذه المساحة قبة مركزية كبيرة فى الوسط يحيط بها أربعة أنصاف قباب ، وترتكز هذه القبة وأنصافها على أربعة عقود كبيرة نصف دائرية، ترتكز بدورها على أربع دعائم ضخمة كسيت الأجزاء السفلى منها بألواح الرخام ذات اللون الأخضر الداكن ، أما بقية الدعائم وحتى بداية العقود فقد كسيت بألواح الرخام ذات اللون البيج . ويغطى أركان مربع الجامع أربع قباب صغيرة ، ويغطى بواطن العقود الأربعة الحاملة للقبة الكبيرة وأنصافها وكذلك بواطن العقود الحاملة للقباب الصغيرة فى الأركان ، يغطى كل ذلك زخارف جصية وفق الطرز التونسية المحلية، ويتوسط جدار القبلة بالجامع محراب كبير وهو يتشابه مع المحاريب التونسية التقليدية ، وهو عبارة عن حنية عميقة وعقد حنية المحراب حدوة فرس من قطع الرخام الأبيض والأسود ، ويرتكز العقد على عمودين صغيرين مدمجين من الرخام الأسود والمحراب غنى بزخارفه فقد زخرف القسم السفلى من حنية المحراب بقطع الرخام المستطيلة باللونين الأسود والأبيض ، ويعلو هذه القطع الرخامية المستطيلة عقود صغيرة متجاورة من قطع الرخام الصغيرة باللونين الأسود والأبيض ، أما القسم العلوى من المحراب فقد زخرف بزخارف جصية عبارة عن أشكال هندسية ذات لون أبيض ، ويحدد كتلة المحراب وكذلك عقده إطارات ضيقة من الرخام الأسود . وتوجد على يمين ويسار القسم العلوى من المحراب ــ أى طاقية المحراب ــ تجميعات خزفية عبارة عن مجموعات من البلاطات الخزفية عثمانية الطراز وهى تحتوى على زخارف نباتية عبارة عن زهرة اللالة والورقة النباتية المسننة وزهرة القرنفل وقد نفذت هذه الزخارف النباتية باللون الأحمر والأزرق الباهت والأخضر الفاتح على أرضية بيضاء . وتشير بعض المراجع إلى أن هذه البلاطات الخزفية قد جلبت من تركيا لاستخدامها فى هذا الجامع[١٨] .ويعلو هذه التجميعات الخزفية ولارتفاع ١,٥٠ م زخارف من الجص الأبيض عبارة عن أشكال هندسية وأشكال نجوم مفرغة ، وتستمر زخارف الجص وكذلك البلاطات الخزفية أسفلها ، فى القسم العلوى

[١٨] سليمان مصطفى زبيس : المرجع السابق ، ص ٤٠.

من جدار القبلة وكذلك فى الجدارين الشرقى والغربى ، أى أن هذه الزخارف ليست مقصورة على جدار القبلة فقط . و يجاور المحراب من جهة اليمين منبر رخامي مكون من ألواح الرخام ذات اللون البنى الداكن والفاتح واللون الأبيض وللمنبر جلسة خطيب يعلوها قمة مخروطية تشبه قمم المآذن العثمانية . وقد فتح فى المستوى السفلى من جدران الجامع مجموعة من الشبابيك المستطيلة عليها من الخارج مصبعات من الحديد ومن الداخل ضلف خشبية ، ويعلو كل شباك فى المستوى السفلى شباك آخر صغير عليه حجاب من الخشب الخرط ، أيضا يوجد شباك آخر مستطيل فى المستوى العلوى من الجدران شباك واحد فى كل جدار من الجدران الأربعة ، هذا بالإضافة إلى الشبابيك الصغيرة المستطيلة بمعدل المعقودة التى توجد فى رقبة القبة الكبيرة والقباب الصغرى فى الأركان . ونظرا لأن الجامع به مداخل كثيرة (تسعة مداخل) فقد أثر هذا بطبيعة الحال على عدد الشبابيك فى المستوى السفلى فأصبحت قليلة وهى تبلغ عشرة شبابيك . وقد تميز جامع سيدى محرز بتنوع وكثرة زخارفه فقد جمع الجامع فى زخارفه بين الزخارف التركية الوافدة مثل بلاطات الخزف التى تزخرف القسم العلوى من جدار القبلة أعلى منطقة المحراب وكذلك المناطق السفلية فى الجدارين الأيمن والأيسر وهناك أيضا بلاطات خزفية على هيئة تجميعات خزفية توجد فى المستوى العلوى للدعائم الضخمة الحاملة للقبة وأنصافها ، وهذه البلاطات وكما سبقت الإشارة اليها تنتمى إلى الطراز التركى المتأخر (القرن ١٧ م) ، وقد مزجها الفنان مع الزخارف التونسية المحلية والتى تمثلها الزخارف الجصية المفرغة والتى تزخرف بواطن عقود القبة الكبيرة الأربعة و وبواطن القباب الأربعة الصغيرة فى أركان الجامع وكذلك القسم العلوى من جدران القبلة ، فكل هذه المناطق زخرفت بزخارف جصية بيضاء تنوعت بين الزخارف النباتية والهندسية ، أيضا استخدم المعمار زخارف الرخام المتعدد الألوان فى المحراب والمنبر الرخامى وكذلك كسوات الرخام الأخضر والبيج فى الدعائم الأربعة الضخمة الحاملة للقبة الكبيرة . ولجامع سيدى محرز مئذنة واحدة تقع بالقرب منه أى أنها ليست ملتصقة بكتلة الجامع الرئيسية ، وتقع هذه المئذنة على يسار الصاعد إلى الجامع من المدخل الخارجى الغربى . ومئذنة الجامع تونسية الطراز مربعة الشكل وهى عبارة عن بدن مرتفع مربع حدد من أعلاه بإطارات مربعة بارزة من الخارج ، ويعلو هذا البدن أو الطابق بدن آخر مربع الشكل فتح فى كل ضلع من أضلاعه شباك مزدوج من فتحتين مستطيلتين متجاورتين يفصل بينهما عمود رخامى صغير،ويتوج هذا البدن شرافات متباعدة بعض الشىء عن بعضها والقسم الأخير من المئذنة عبارة عن بدن صغير مربع الشكل ليست به أية فتحات ويتوجه شرفات صغيرة وينتهى هذا البدن بمخروط صغير يعلوه هلال، وقد طليت المئذنة من الخارج باللون الأبيض مثل قباب الجامع وأسواره الخارجية . وتجدر الإشارة إلى تعدد المحاريب الخارجية بجامع سيدى محرز ، حيث توجد ثلاثة محاريب خارجية اثنان فى واجهة الجامع الشمالية على يمين ويسار المدخل الذى يتوسط هذه الواجهة والمحراب الثالث يتوسط جدار الرواق الممتد بين جدار القبلة وبين مئذنة الجامع أى فى الضلع الجنوبى من الجامع،ويقع هذا المحراب بين شباكين مستطيلين يفتحان على الخارج . وهذه المحاريب الثلاثة الخارجية تتشابه مع محراب الجامع الداخلى فى أنها محاريب تونسية الطراز وإن كانت المحاريب الخارجية أقل فخامة وزخرفة من المحراب الداخلى وهى محاريب جصية لها عقود حدوة فرس وبها زخارف نباتية محفورة حفرا بارزا .

الدراسة التحليلية

من خلال العرض السابق يتضح لنا تفرد وتميز جامع سيدي محرز سواء فى التخطيط أو في الزخارف ، فتخطيط الجامع وكما سبق القول قد اتبع تخطيطا أو طرازا لم يتكرر بعد ذلك في تونس وهو عبارة عن مساحة مربعة كبيرة تغطيها قبة مركزية كبيرة في الوسط تحيط بها أربعة أنصاف قباب وترتكز عقود القبة وأنصافها على أربع دعائم ضخمة[١٩] ، ويغطى أركان مربع الجامع أربع قباب صغيرة ، ولا يوجد صحن يتقدم بيت الصلاة أو الجامع كما هي السعادة في غالبيةالجوامع التركية التي اتبعت هذا الطراز بل يوجد رواق خارجي يحيط بالجامع من الجهات الثلاث: الشمالية والغربية والشرقية،وطراز القبة المركزية وأنصاف القباب الأربعة حولها من أهم طرز الجوامع العثمانية والتي اتبعت في الكثير من الجوامع التركية في إستانبول وغيرها من مدن وولايات الدولة العثمانية . وترجع بدايات هذا الطراز إلى بدايات القرن ١٦ م ، وأول الأمثلة التي طبق بها هذا الطراز كانت خارج إستانبول عندما شيد الوالي العثماني الأول لديار بكر بيقلى محمد باشا جامعه في هذه الولاية وذلك فيما بين سنوات ١٥١٦-١٥٢٠ م، ويعرف هذا الجامع أيضا بجامع الفاتح؛ لأن المنشئ بيقلى محمد باشا هو الذي قام بفتح ديار بكر[٢٠] . وهذا الجامع عبارة عن مساحة مربعة غطيت بقبة كبيرة في الوسط حولها أربعة أنصاف قباب كما يوجد أربع قباب أخرى صغيرة قي أركان مربع الجامع ، وتعتمد القبة المركزية وأنصافها على أربع دعائم ، ويتقدم الجامع رواق أمامي من الجهة الشمالية مكون من سبعة عقود تحملها أعمدة رخامية ويغطى هذا الرواق سبع قباب صغيرة ، وللجامع مئذنة واحدة تقع في الزاوية الشرقية من واجهته الأمامية (شكل رقم ٢) . ويعتبر جامع بيقلى محمد باشا (الفاتح) في ديار بكر بمثابة نقلة أو إضافة معمارية مهمة في تخطيط الجوامع العثمانية حيث طبق هذا التخطيط بنجاح لأول مره[٢١].وهناك جامع آخر طبق فيه هذا الطراز وهو الجامع الكبير (أولو جامع) في البستان Elbistan وقد شيده على بيه ابن شاه سوار في أواخر عهد إمارة ذى القادر التركمانية[٢٢] وذلك بين سنوات

---

[١٩] تعرف هذه الدعائم الضخمة عند الآثاريين الأتراك بأرجل الفيل وذلك كناية عن ضخامتها

[20]-Oktay Aslanapa : Osmanli Devri Mimarisi , Istanbul 1986 , p.152

[21]-Ibid,.P.153

[٢٢] إمارة ذو القادر إحدى الإمارات التركمانية التى ظهرت بالأناضول عقب انهيار دولة الإيلخانيين بإيران والتى كانت تسيطر على الأناضول منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد ظهرت إمارة ذو القادر وغيرها من الإمارات التركمانية الأخرى بعد وفاة آخر حاكم إيلخانى وهو أبو سعيد بهادر سنة ١٣٣٥م وقد أعلن أولاد ذى القادر استقلالهم سنة ١٣٣٧م واستمرت هذه الإمارة قائمة نحو ١٨٥سنة حتى قضى عليها العثمانيون فى معركة تورنا داغ Turna Dağ سنة ١٥٢٢م . وقد لعبت إمارة ذى القادر دورا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية والفنية بالمناطق التي خضعت لهم بالأناضول وهي مناطق شرق البحر المتوسط وجنوب شرق الأناضول والمناطق الواقعة عند التقاء وسط وشرق الأناضول واستمر هذا الدور خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر . وكان لهذه الإمارة التركمانية علاقاتها المتشعبة مع الدول والإمارات التركية الأخرى المجاورة مثل الدولة الصفوية والمملوكية والعثمانية والقره قوينلو (الشاه السوداء) والآق قوينلو (الشاه البيضاء) وإمارت أولاد رمضان وأولاد اشرف وأولاد قره مان وأولاد أرتنا . واستطاعت إمارة ذى القادر أن تتعايش وأن تضمن بقاءها ووجودها وسط كل هذه الدول والإمارات القوية مما يؤكد ما كانت تتمتع به هذه الإمارة من تماسك وقوة . وكان لإمارة ذى القادر إسهامها الكبير في النشاط الفني والمعماري التركي ببلاد الأناضول . وقد سبق القول بأن ظهور إمارة ذىالقادر وغيرها ببلاد الأناضول كانت نتيجة لسقوط دولة سلاجقة الروم وكذلك انهيار دولة الإيلخانيين التى سيطرت على أملاك السلاجقة بالأناضول . وكانت كل إمارة تركمانية ترى أنها

١٥١٥/١٥٢٢م وقد شيد الجامع وفق الأسلوب العثماني والجامع عبارة عن مساحة مربعة تغطيها قبة كبيرة في الوسط يحيط بها أربعة أنصاف قباب ، وتعتمد القبة وأنصافها على أربع دعائم ضخمة مربعة ، ويغطى أركان مربع الجامع أربع قباب صغيرة ،ويتقدم الجامع رواق أمامى مكون من ثلاث أقبية متقاطعة ترتكز على دعامتين مربعتين في الوسط وعلى الجدران في الجانبين ، وللجامع مئذنة واحدة (شكل رقم ٣) . ويعد جامع الفاتح بديار بكر والجامع الكبير في البستان أولى الجوامع العثمانية التى طبق فيها نظام القبة المركزية وحولها أربعة أنصاف قباب وتعتمد القبة وأنصافها على أربع دعائم ضخمة[٢٣] ويمثل جامعا ديار بكر والبستان تجارب مهمة أو نهاية لتجارب معمارية طويلة لاستخدام القبة ونصف القبة لتغطية مساحة كبيرة بالجامع ، وقد بدأت هذه التجارب المعمارية منذ عهد السلطان مراد الثانى فى أعماله بأدرنة**Edirne** والسلطان محمد الفاتح وكذلك السلطان بايزيد الثانى واستمرت فى عصر السلطان سليم الأول ،و كان الهدف منها وكما سبق القول الوصول إلى وسيلة تغطية دون اللجوء إلى استخدام أعمدة كثيرة[٢٤].وسوف يتطور هذا الطراز بعد عصر السلطان سليم الأول على يد المعمار الشهير سنان، وقد استخدم معمار سنان هذا التخطيط فى إستانبول عندما شيد جامع شاه زاده محمد بناء على أمر من السلطان سليمان القانونى وذلك لتخليد ذكرى وفاة ابنه الأمير شاه زاده محمد، وقد انتهى سنان من تشييد هذا الجامع وبقية ملاحقه المعمارية سنة ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م . وهذا الجامع يتبع طراز الجوامع ذات القبة المركزية وحولها أربعة أنصاف قباب غير أن جامع شاه زاده تميز بكبر حجمه وأنه كان نواة لمجموعة معمارية متكاملة . أيضا تميز بوجود صحن يتقدمه عبارة عن مساحة فضاء تحيط بها أربعة أروقة يغطيها قباب صغيرة ويتوسط الصحن شادروان (شكل رقم ٤)[٢٥] . و لا شك أن معمار سنان قد استفاد من التجارب السابقة التى نفذت من قبل واتبعت نفس التخطيط ونعنى بذلك جامعي الفاتح بديار بكر والجامع الكبير بالبستان، وإن كان معمار سنان قد طور وأضاف بعض الإضافات بجامع شاه زاده وجعله أضخم وأكثر تطورا عن الأمثلة السابقة حيث احتوى على مئذنتين وليست واحدة كالأمثلة السابقة ، وكذلك الصحن الكبير الذي يتقدم بيت الصلاة ، وأخيرا كثرة الزخارف بالجامع سواء الخارجية أو الداخلية[٢٦]. ولم يحتو جامع سيدى محرز في تونس على صحن يتقدمه كما هو الحال فى جامع شاه زاده بإستانبول، ولكنه يتفق في ذلك مع جامعي فاتح بديار بكر والجامع الكبير في البستان حيث اتبعت هذه الأمثلة نفس التخطيط ولكن بدون صحون تتقدمها فقط رواق واحد أمامي في جامعي ديار بكر والبستان وثلاثة أروقة تحيط بجامع سيدي محرز من الخارج . ومن المعروف أن الجوامع التركية بالأناضول لم تحتو في العصر السلجوقى والعثماني المبكر على صحون تتقدمها كما

الوريث الشرعي للدولة السلجوقية بالأناضول ، ولإثبات ذلك شرعت هذه الإمارات في استكمال سيادتها عن طريق حملات معمارية وفنية كبيرة هدفت إلي إنشاء مختلف العمائر الدينية =والمدنية وجاءت فنون هذه الإمارات امتدادا للفن السلجوقى بالأناضول مع ما أضافوه من تجارب وطرز فنية جديدة . انظر :

-Hamza Gűndoğdű : Dulkadirli Beyligi Mimarisi, Ankara 1986, P . 1 ;

- أوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم ، ترجمه أحمد محمد عيسى (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول) إستانبول ١٩٨٧ ، ص ١٤٣-١٤٤ .

[23]Godfrey Goodwin: A history of Ottoman Architecture, London 1987 , P . 207

[24]Aslanapa,Op.Cit,P.153

[25]Halil Ethem : Camilerimiz, Istanbul 1932, P.53

[26]Oktay Aslanapa: Mimar Sinanin Hayati ve Eserlei, Ankara. 1988, P.15

هو الحال في الجوامع التركية العثمانية الكلاسيكية ، ولكن استخدم الصحن ذو الأروقة للمرة الأولى بالأناضول في الجامع الكبير – أول جامع – في مغنيسيا **Manisa** وقد شيد هذا الجامع سنة ٧٧٨هـ /١٣٧٦م في عهد إمارة بنى صاروخان[٢٧] على يد إسحاق شلبى، ويتكون من قسمين مكان للصلاة وصحن يتقدمه ذو أروقة ، ويعتبر هذا الجامع أقدم الجوامع التركية بالأناضول التى تحتوى على صحون ذات أروقة[٢٨] . ولم يظهر هذا الأمر في الجوامع التركية التى شيدت في العصور التالية حتى شيد السلطان مراد الثانى جامعه في أدرنة المعروف بأوج شرفه لى وقد تم بناء هذا الجامع سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م ،ويعد هذا الجامع بمثابة نقلة معمارية مهمة في تاريخ العمارة العثمانية حيث احتوى على صحن ذى أروقة للمرة الأولى في الجوامع العثمانية وكذلك غطى مكان الصلاة بقبة كبيرة ترتكز على ست دعائم وحولها قبتان صغيرتان اثنتان من كل جهة وهو بذلك يعد المثال أو النموذج لأول الجوامع العثمانية السلطانية ذات القبة المركزية والصحن ذى الأروقة وقد اتبع هذا التقليد في جوامع كثيرة فيما بعد[٢٩] . وإذا كان جامع سيدى محرز لم يحتو على صحن تقليدي ذى أروقة إلا أنه احتوى على ثلاثة أروقة تحيط بالجامع من جهاته الثلاث: الشمالية والشرقية والغربية وتطل هذه الأروقة على فناء خارجى له سور تتخلله شبابيك مستطيلة وهذه الأروقة الثلاثة الخارجية المحيطة بالجامع ظهرت من قبل في بعض الجوامع التونسية المشيدة في العهد العثمانى وهى جامع يوسف داى (١٦١٢م) ، وجامع حمودة باشا المرادى (١٦٥٥م) وجامع يوسف صاحب الطابع والذى تم إنشاؤه في الربع الأول من القرن التاسع عشر (١٨١٤م).وقد ظهرت الأروقة المحيطة بالجامع من جهاته الثلاث في بعض الجوامع العثمانية بالقاهرة مثل جامع سنان باشا الذى شيد سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م وهو عبارة عن مساحة مربعة تغطيها قبة وتحيط به ثلاثة أروقة من الخارج[٣٠] ،وكذلك جامع محمد بك أبو الذهب المشيد سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م وهو يتشابه في تخطيطه مع جامع سنان باشا السابق ذكره حيث يتكون من مساحة مربعة تغطيها قبة كبيرة ،وتحيط به ثلاثة أروقة من

---

[٢٧] قامت إمارة بنى صاروخان في غرب الأناضول وكان مركزها مدينة مغنسيا وتنسب هذه الإمارة إلى صاروخان ابن الب أغا ، وكان صاروخان هذا على رأس القوات التركمانية التى تجاهد وتقوم بحركة الفتوحات في غرب الأناضول على حدود دولة سلاجقة الروم وذلك في عام ٧٠٥هـ /١٣٠٥ م ، واستطاع صاروخان بيه أن يستولي في نهاية الأمر على مغنسيا سنة ١٣١٣م واتجه بفتوحاته نحو بحر إيجة ووسع أملاكه حتى سيطر على أراضي وممتلكات مملكة ليديا القديمة وجعل مغنسيا مركزا لإمارته التركمانية . وقد توفي صاروخان بيه سنه ١٣٤٥م ودفن في ضريحه بمغنسيا ، وقد تولى حكم الإمارة بعده ابنه فخر الدين اليأس . وكان لصاروخان بيه دور كبير في حركة الفتوحات الإسلامية في منطقة غرب الأناضول وقام بفتح مدن وقلاع كثيرة وأسس أسطولا ضخما كان له أثره الكبير في العديد من الانتصارات التى حققها في بحر إيجة . انظر :

Ismail Hakki Uzunçarşili : Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu , Karakoyunlu Devletleri , Ankara 1988, PP. 84.86

[28] **Aptullh Kuran: Ilk Devir Osmanli Mimarisinde Cami, Ankara 1964, PP.48-49**

[٢٩] عبد الله عطية عبد الحافظ " الجوامع العثمانية المبكرة في إستانبول " مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد السادس والعشرون ، الجزء الأول يناير ٢٠٠٠ ،ص ٥٤٣ حاشية (١) و ص ٥٥٣ حاشية (١)

Aslanapa : Edirnede Osmanli Devri Abideleri, Istanbul 1949 , P. 14 ؛Oktay

[٣٠] حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩٣ ص ٣٠٣

من مساحة مربعة تغطيها قبة كبيرة ،وتحيط به ثلاثة أروقة من الخارج[٣١].وبالنسبة للجوامع العثمانية المبكرة المشيدة في تركيا والتي تتشابه مع جامع سيدي محرز نجد أنها تحتوى على رواق أمامي فقط في الجهة الشمالية أي أن الجوامع العثمانية التى لا تشتمل على صحن ذى أروقة نجد أنه في الغالب يتقدمها من الناحية الشمالية رواق واحد فقط ، وأحيانا يكون هذا الرواق مكونا من سبعة عقود و سبع قباب صغيرة أو خمس قباب صغيرة فقط ، وتطل هذه الجوامع على فناء أمامي أو حديقة تحيط بالجامع لها أسوار حجرية تتخللها شبابيك مستطيلة ذات مصبات حديدية . أما الجوامع العثمانية الكبيرة التي شيدها سلاطين أتراك والتي اتبعت تخطيط جامع سيدي محرز نجد أنها جاءت أضخم وأكبر حيث تكونت في الغالب من قسمين الجامع أو بيت الصلاة والقسم الثاني الصحن ذو الأروقة الأربعة والشادروان، ومن أهم الجوامع العثمانية التى اتبعت طراز القبة المركزية وحولها أربعة أنصاف قباب بالإضافة إلى أربع قباب صغيرة في الأركان جامع شاه زاده محمد السابق الإشارة إليه،وكان أول الجوامع الضخمة في إستانبول التى اتبعت هذا الطراز ، وجامع السلطان أحمد الشهير بالجلمع الأزرق (١٦١٧م) ، والجامع الجديد – (ينىجامع) – (١٦٦٠م) ، وجامع الفاتح الحالى (١٧٦٦م)[٣٢] ،ومن أهم الجوامع التى اتبعت طراز جامع سيدى محرز الجامع الجديد في الجزائر العاصمة ، وهو مثال فريد ووحيد في كل الجزائر الذى اتبع هذا الطراز وهو في ذلك يتفق مع جامع سيدى محرز في تونس حيث لا يوجد مثيل له في كل تونس كما ذكرنا من قبل ، ويقع الجامع الجديد في ساحة الشهداء أهم ميادين العاصمة الجزائرية ،وقد شيد هذا الجامع سنة ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م ، وتشير بعض كتابات المحراب إلى أن مهندس البناء هو المعمار الحاج حبيب[٣٣]. وتخطيط الجامع الجديد عبارة عن مساحة كبيرة تغطيها قبة مركزية في الوسط ترتكز على أربعة عقود ضخمة تعتمد بدورها على أربع دعائم ضخمة، و يوجد حول القبة الكبيرة أربع أقبية تميز أحدها وهو الموجود في الجهة الشمالية الغربية باستطالته عن بقية الأقبية ، ويوجد أربع قباب صغيرة منخفضة ومضلعة تغطى أركان الجامع ونلاحظ هنا أن المعمار استبدل أنصاف القباب حول القبة المركزية بأقبية وليس للجامع صحنا يتقدمه ، وللجامع مئذنة مربعة الطراز مثل مآذن الجزائر وبلاد المغرب ، ويتميز الجامع الجديد بضخامته وسط جوامع الجزائر العثمانية ،وقد جمع في تخطيطه وزخارفه بين الأساليب الفنية العثمانية الوافدة والأساليب المحلية المغربية والأندلسية[٣٤]. ومن الجوامع التي اتبعت هذا الطراز أيضا جامع محمد على باشا بقلعة الجبل بالقاهرة (١٨٤٨م) ، وكذلك الجامع الجديد – ينى جامع – في ملطية **Malatya** (١٨٨٩-١٩١٠م) . ويعتبر طراز الجوامع

---

[٣١] حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٥١- ٣٥٤

[٣٢] شيد جامع الفاتح الحالى السلطان مصطفى الثالث (١٧١٧-١٧٧٤م) وكان جامع الفاتح القديم قد تعرض لكثير من التدمير نتيجة الزلزال المدمر الذى ضرب إستانبول سنة ١٧٦٥م ، ونتج عنه تأثر بعض الجوامع الكبيرة منها جامع الفاتح وجامع أيوب الانصارى وجامع لالة لى Laleli ، وقد كلف السلطان مصطفى الثالث المعمار طاهر أغا بإعادة بناء وترميم ما تهدم بجامع الفاتح فقام بإعادة بناء بيت الصلاة بالجامع وجاء البناء الجديد وفق طراز مخالف لطراز الجامع القديم ، وهو طراز القبة المركزية وحولها أربعة أنصاف قباب وهو الجامع القائم حتى الآن . انظر :
– Oktay Aslanapa : Osmanli Devri Mimarisi, P.309 .

[33] Baelhadj Marouf : Cezayirde Merkezi Kubbeli Camiler (I.Ű . Ed . Fak. Sanat Tarihi Bl. Yayinlanmamiş Yűksek Lisans Tezi) Istanbul .1991, P.27

[34] Ibid , P. 28

ذى القبة وأنصاف القباب من أكثر الطرز تطبيقا وانتشارا في العمارة التركية العثمانية ،وكما رأينا فقد طبق فى الكثير من الأعمال المعمارية داخل تركيا وخارجها ،وعلى الرغم من ظهور أولى محاولات تطبيق هذا الطراز في نهايات القرن الخامس عشر الميلادى إلا أنه تميز بالاستمرارية ووصل إلى القمة خلال القرن السادس عشر على يد المعمار سنان، واستمر فيما بعد على يد تلامذته . وكما سبق وشاهدنا في الأمثلة التى ذكرناها فإن طراز القبة والأربعة أنصاف قباب صار له شكل وتخطيط معين سواء كان للجامع صحن أو بدون صحن، فهناك القبة الكبرى في الوسط ويوجد حولها أربعة أنصاف قباب، وترتكز القبة وعقودها وأنصاف القباب في الغالب على أربع دعائم ضخمة تتوسط الجامع ، وأحيانا ما يكون حول القبة أقبية بدلا من أنصاف القباب وأخيرا هناك أربع قباب صغيرة تغطى المساحات الباقية في مربع الجامع[٣٥]. والواقع أن المعماريين الأتراك بعد أن توصلوا إلى تخطيط الجوامع ذات القبة المركزية وأنصاف القباب قد وصلوا إلى الحل الأمثل للحصول على جوامع ذات مساحات كبيرة تغطيها قبة ضخمة وحولها أنصاف قباب وفي نفس الوقت حافظوا على وحدة المكان ؛ ذلك لأن طراز الجوامع القديمة أو التقليدية الأخرى سواء تلك التى كانت تغطيها قباب كثيرة والمعروفة بطراز الجوامع الكبيرة – أولو جامع **Ulu-Cami** كانت تلجأ إلى استخدام دعائم أو أعمدة كثيرة لحمل القباب الكثيرة وكانت هذه الدعائم والأعمدة تحجب الرؤية وتقطعها أمام المصلين ، وكذلك في طراز الجوامع المبكرة ذات القبتين حيث صغر المكان والجدران الكثيرة التى تفصل بينها، أما في طراز القبة المركزية وعن طريق استخدام القبة الكبيرة وأنصاف القباب حولها وكذلك القباب الصغيرة في الأركان، كل ذلك أتاح للمعمار وحدة المكان وأتاح له تغطية مساحة كبيرة دون اللجوء إلى استخدام أعمدة أو دعائم كثيرة كما هو الحال في طراز الجوامع الأخرى[٣٦] . وقد استخدم المعمار العثمانى نصف القبة بشكل جيد أتاح له الوصول إلى أكبر وسيلة تغطية في الجوامع العثمانية وذلك باستخدام القبة وأنصافها، وأحيانا كان نصف القبة يعتمد أو يرتكز على ربعى قبة في الطرفين، ولهذا وصل المعمار إلى الحل الأمثل والشكل الأكمل لتغطية الجوامع ذات المساحات الكبيرة[٣٧]. ولا يزال طراز القبة المركزية والأربعة أنصاف قباب هو الطراز المفضل والمحبب لدى المعماريين الأتراك في العصر الحديث حتى إن أكبر جامع أنشئ في أنقرة **Ankara** عاصمة تركيا الحالية وهو جامع قوجه تبه **kocatepe** قد اتبع هذا الطراز ، وقد شيد هذا الجامع في الثمانينات من القرن العشرين وهو أضخم جامع في تركيا[٣٨].وبالإضافة إلى تخطيط جامع سيدى محرز المتأثر بطرز الجوامع العثمانية نجد أنه قد جمع في زخارفه كما أشرنا من قبل بين الأساليب التونسية والعثمانية ، ومن أهم الأساليب العثمانية في الزخرفة استخدام البلاطات الخزفية في تكسية الجدران والمحاريب ، وقد استخدمت بلاطات خزفية تركية الطراز في تكسية القسم العلوي من جدران القبلة فوق

---

[35] **AraAltun "Dört Yarim Kubbeli Cami Plan Şemasinin Kaynaklari Hakkindaki Görüşler Űzerine**
Tűrk Kűltűrű Arastirmalari (A.Ű.Basimevi) Ankara 1986, P.1.

[36] **Abdullah Attia Abdulhafiz : Osmanli Döneminde Istanbul ile Kahire Arasinda Mimari Etkile şimler (I. Ű.Ed Fak . Sanat Tarihi Bi . Yayinlanmamiş Doktora Tezi) Istanbul 1994 , PP. 212 –213 .**

[37] **Ismet Geliç : Istanbul Camilerinde Yarim Kubbeler , (I. Ű.Ed . Fak. Sanat Tarihi Bl.. Tűrk Sanati Kűrsűsű Lisans Tezi) Istanbul 1974, PP.31-32**

[38] **– Abdullah Attia , OP. Cit , P .213**

المحراب، وكذلك في المستوى العلوى من الدعائم الضخمة الحاملة للقبة المركزية ولكن في الدعامتين الأماميتين أى المواجهة لجدار القبلة، وكما هو معروف فإن استخدام البلاطات الخزفية في تكسية الجدران كان من أهم خصائص الزخرفة المعمارية العثمانية حيث استخدمت البلاطات الخزفية في تكسية وتزيين الجوامع والمساجد والأضرحة والمدارس والحمامات والقصور ودور الكتب والأكشاك والمنازل الخاصة وصنابير المياه العامة (جشمه لر) حتى بعض الكنائس تم استخدام البلاطات الخزفية في زخرفتها وهذا يدل على مدى شيوع هذا الأسلوب الفني والزخرفي في الزخارف المعمارية في العصر العثماني[٣٩] ، وعادة ما كانت البلاطات الخزفية تزخرف أماكن معينة في العمائر فمثلا تستخدم في الجوامع في تكسية حنايا المحاريب وحولها ، وأحيانا تستخدم في كتابات قرآنية فوق المحاريب ، أيضا تستخدم البلاطات الخزفية في كسوة الإطارات حول نوافذ الجوامع سواء الداخلية او المطلة على الصحن ذى الأروقة ، وأحيانا تستخدم البلاطات في عمل تجميعات ذات زخارف نباتية لتشكل تجميعة أو وحدة زخرفية معينة وكانت تستخدم عندئذ على جانبي المداخل الرئيسية في بعض الأضرحة أو الأكشاك . وكانت هناك مراكز شهيرة في صناعة البلاطات الخزفية بالدولة العثمانية منها إزنيك **Iznik** وكوتاهية **Kutahya** واستمرت هاتان المدينتان تؤديان دورهما بازدهار حتى القرن الثامن عشر الميلادي وكان إنتاج إزنيك وكوتاهية يستخدم في تزيين العمائر العثمانية سواء المشيدة بتركيا أو تلك المشيدة في الولايات العثمانية الأخرى خارج الأناضول ومنها الولايات العربية ، وفي المرحلة المتأخرة صار مركز صناعة البلاطات الخزفية بمصانع تكفور سراي بإستانبول ،وكانت العناصر الزخرفية المستخدمة في البلاطات الخزفية متنوعة فهناك العناصر النباتية كالورود والأزهار وأشجار السرو والقرنفل والأوراق المسننة و زهور اللالة . وغيرها من العناصر النباتية التى شاعت في الفن العثماني ، أيضا استخدم الفنان العثماني الكتابات القرآنية وعلى نطاق واسع في الزخارف الخزفية . ومن الجدير بالذكر أن مصانع الخزف بتركيا كانت تأتى إليها طلبات من الكثير من الولايات العربية تطلب بلاطات خزفية ذات مواصفات معينة وأشكال خاصة لاستخدامها فى عمائر تقام في تلك البلاد، وبالفعل كانت مصانع الخزف تلبى هذه الطلبات وتقوم بتصنيعها وإرسالها وهذا ما تم بالنسبة للبلاطات الخزفية المستخدمة في جامع سيدي محرز بتونس حيث تشير بعض المصادر إلى جلب هذه البلاطات من مصانع تركيا[٤٠] ، ومن خلال دراسة البلاطات الخزفية بجامع سيدي محرز، يتضح لنا أنها من إنتاج مصانع تركيا في الفترة المتأخرة (القرن ١٧م)، حيث تميزت البلاطات الخزفية المنتجة في تلك الفترة بقلة جودتها عن ذى قبل، فأصبحت الألوان باهتة ولم يعد في مقدور الصانع الوصول إلى دقة الألوان، كما كانت عليه ألوان البلاطات المنتجة في مصانع إزنيك خلال القرن السادس عشر، فاللون الأحمر الطماطمى اختفى ليحل محله لون أحمر باهت أقرب إلى اللون البني الفاتح، وكذلك اللون الأزرق الباهت والأخضر والأرضية ذات اللون الأبيض غير النقى . وبالنسبة للعناصر النباتية فلم تتغير وإن كانت لم تنفذ بدقة مثلما كان الحال من قبل واشتملت هذه العناصر على زهرة اللاله وأوراق القرنفل والأوراق المسننة ، أيضا نفذت بلاطات كثيرة بلون واحد فقط وهو الأخضر الباهت على أرضية بيضاء ولكن تأثر اللون

---

[39]–Gönül Öney " Çini ve seramik " Geleneksel Türk Sanatlari , (Kültür Bakanliği Yayinlari) Istanbul 1993, P. 97

٤٠ سليمان مصطفى زيبس : المرجع السابق ، ص ٤٠.

الأبيض بلون العناصر النباتية وهو اللون الأخضر الباهت . وكل هذه الخصائص ترجح جلب البلاطات الخزفية المستخدمة في جامع سيدي محرز من تركيا وأنها ليست من إنتاج المصانع التونسية ، وظاهرة جلب بلاطات خزفية من مصانع إزنيك وكوتاهيه وبعدها تكفور سراى في إستانبول كان أمرا مألوفا خلال العصر العثمانى ،وهناك عمائر كثيرة فى تونس والقاهرة ودمشق وغيرها من مدن وولايات الدولة العثمانية تم تزينها ببلاطات خزفية استوردت من مصانع تركيا وهناك جوامع أخرى شيدت بعد جامع سيدى محرز في تونس واستخدمت بلاطات خزفية مستوردة من تركيا ، أى أن ظاهرة جلب البلاطات الخزفية لعمائر تونس استمرت خلال الحقبة العثمانية وذلك بالرغم من وجود صناعة محلية تونسية للبلاطات الخزفية والتى تعرف بالزليج ، ومن أهم العمائر التى استخدمت بلاطات خزفية عثمانية الجامع الجديد بتونس العاصمة ويعود إنشاؤه إلى سنة ١١٣٩هـ /١٧٣٧م وقد شيد هذا الجامع مؤسس الأسرة الحسينية حسين بن على ، وقد كسيت جدران الجامع الداخلية ببلاطات خزفية مجلوبة من تركيا ،وهناك مثال آخر بالقاهرة العثمانية استخدم بلاطات خزفية عثمانية جلبت له خصيصا من تركيا لكسوة جدرانه الداخلية، وهو جامع آق سنقر الناصرى وهو من آثار عصر المماليك البحرية ،وقام إبراهيم أغا مستحفظان في العصر العثمانى (١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م) بإضافة مدفن له بالجامع وكسوة جدار القبلة وكذلك جدران مدفنه ببلاطات خزفية تركية ذات زخارف نباتية تتفق مع الزخارف النباتية التى كانت شائعة في البلاطات الخزفية التركية في تلك الفترة ومنها أشجار السرو وزهرة اللالة والأوراق المسننة وزهرة القرنفل،وبمعنى آخر فقد كانت البلاطات الخزفية العثمانية هى القاسم المشترك في تزيين العمائر المشيدة في العصر العثماني سواء في تركيا العثمانية أو في الولايات العربية العثمانية ،ومما يؤكد جلب البلاطات الخزفية من مصانع تركيا إلى مصر وتونس وغيرها من الولايات العثمانية الأخرى،دراسة هذه البلاطات وزخارفها ومقارنتها بالأمثلة الموجودة بعمائر تركيا ، وكذلك درجة نقاء الألوان وتطورها واتفاق ذلك مع البلاطات الخزفية التركية ، كل ذلك يؤكد استيراد هذه البلاطات خصيصا للعمائر التى استخدمت فيها و أنها لم تصنع فى مصانع محلية فى تونس أوفى القاهرة خلال الحقبة العثمانية[٤١] . ومن العناصر التركية في جامع سيدى محرز وجود المنبر الرخامى ذى القمة المخروطية ، وكما هو معروف فقد كانت معظم منابر الجوامع التونسية السابقة تصنع من الخشب أى أنها منابر خشبية متنقلة، أيضا تشييد الجامع من مستويين سفلى تم تقسيمه إلى مخازن وحوانيت لاستغلال ريعها في الإنفاق على الجامع ، ومستوي علوى يمثل الجامع نفسه ،وكما ذكرنا من قبل يصعد إلى الجامع عن طريق مداخل تقع في مستوى الطريق العام ويصعد من خلال سلالم رخامية إلى الفناء المحيط بالجامع من الخارج ثم نصل إلى داخل الجامع مباشرة عن طريق تسعة أبواب تفتح على الأروقة الثلاثة الخارجية . وظاهرة الجوامع العلوية كما تعرف عند الأتراك أو المعلقة ظاهرة اتبعت في أكثر من جامع عثماني، ومن أشهرها جامع رستم باشا بإستانبول (١٥٦١م) . وإذا كان جامع سيدي محرز قد شيد وفق الطراز العثماني في تخطيطه وبعض عناصره المعمارية والزخرفية إلا أنه احتوى على الكثير من العناصر المعمارية والزخرفية المحلية فمئذنة الجامع تونسية الطراز وتتشابه مع معظم المآذن التونسية والمغربية بوجه عام ،وهى مئذنة مربعة الشكل طليت باللون الأبيض . ومن المعروف أن مئذنة جامع القيروان ذات الطراز المربع كان لها تأثير كبيرعلى مآذن المغرب والأندلس بل إن هذا التأثير قد امتد إلى بعض المآذن المصرية ، وتنسب مئذنة القيروان إلى بشر بن صفوان عامل القيروان في

[٤١] **ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة في العهد** العثمانى ، **القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣٩**

عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك والذى قام بعمل توسيعات وإضافات بالجامع، ومنها المئذنة وكان ذلك سنة ١٠٥هـ /٧٢٤ م ، وتتوسط المئذنة الجدار الشمالى للجامع وتتكون من ثلاثة طوابق تعلوها قبة مفصصة ، وهى مئذنة مربعة الشكل ، وأصبحت هذه المئذنة كما سبق القول نموذجا للمآذن الإسلامية في العديد من الأقطار الإسلامية[٤٢]. ومن العناصر المعمارية التونسية أيضا استخدام عقود حدوة الفرس ،ذلك النوع المميز لكافة العقود في جامع سيدى محرز وغيره من الجوامع التونسية الأخرى ونشاهد هذا العقد في مداخل الجامع الثلاثة المحورية الرئيسية والتى يتوسط كل منها أحد الواجهات الثلاث الرئيسية للجامع ، وكذلك استخدام هذا العقد في محاريب الجامع وهى محراب الجامع الرئيسى الداخلى والمحاريب الخارجية وهى ثلاثة محاريب ،اثنان في الواجهة الشمالية وواحد في الرواق الممتد بالجهة الجنوبية . ومن الجدير بالذكر أن عقد حدوة الفرس كان شائعا في العمارة التونسية التى تعود إلى تلك الفترة واستخدم في الجوامع والقصور وغيرها من المنشآت التونسية، وتظهر بعض التأثيرات الأندلسية في جامع سيدى محرز منها الإفراط في استخدام الزخارف الجصية ذات اللون الأبيض والتى تغطى بواطن القبة الرئيسية وأنصافها وعقودها وكذلك بواطن القباب الصغرى في أركان الجامع ،والقسم العلوى من جدران القبلة فوق التكسيات الخزفية . ولم تكن الجوامع التونسية السابقة -قبل العهد العثماني - تتميز بكثرة زخارفها بل كانت تتميز بالبساطة وعدم المبالغة في الزخارف الداخلية أما في العصر العثماني ونتيجة لمؤثرات خارجية وافدة تركية وأندلسية فقد تأثرت العمارة بهذه المؤثرات، وظهر ذلك في معظم الأعمال المعمارية التي شيدت في تلك الفترة ، أيضا من التأثيرات الأندلسية في جامع سيدي محرز استخدام القرميد الأخضر في تكسية قمة المئذنة المخروطية وكذلك طنف الأروقة الثلاثة المحيطة بالجامع من الخارج ، وكان للأندلسيين تأثيرهم في استخدام الأخشاب المزخرفة في أسقف العمائر[٤٣].أما عن التأثيرات الإيطالية التى ظهرت في عمائر تلك الفترة ومنها جامع سيدي محرز، فتنحصر فى التكسيات الرخامية لبعض الجدران والدعائم ، وكذلك الأعمدة الرخامية الرشيقة وتيجانها وقد استخدمت هذه الأعمدة لحمل عقود الأروقة الخارجية بجامع سيدى محرز ، ووجود كل هذه التأثيرات الفنية في عمائر تونس فى ذلك العصر كان نتيجة طبيعية لما كان عليه المجتمع التونسى فى تلك الفترة، وبمعنى آخر فإن جامع سيدى محرز شأنه شأن بقية العمائر المشيدة في العصر العثمانى بتونس يظهر به المزج المتجانس بين أساليب فنية متنوعة تركية وأوربية وتونسية محلية ،ويظهر ذلك في طرازه وتخطيطه وزخارفه[٤٤] . وأخيرا فهناك ظاهرة جديرة بالإشارة إليها ونحن بصدد الحديث عن أحد أهم العمائر العثمانية وهو جامع سيدى محرز ونعنى بها قلة عدد العمائر المشيدة وفق الطراز العثمانى الوافد، وهذا الأمر ليس مقصورا فقط على تونس بل ينسحب على كل الولايات العربية الأخرى فمثلا لم يشيد في تونس خلال العهد العثمانى سوى جامع واحد فقط وفق الطراز العثمانى وهو جامع سيدى محرز ، وكذلك لم يشيد في الجزائر خلال نفس العصر سوى جامع واحد أيضا وهو الجامع الجديد السابق الإشارة إليه ، وهناك رأى يرى أن بعد منطقة المغرب العربى جغرافيا عن عاصمة الدولة العثمانية كان سببا مباشرا لقلة عدد

---

٤٢ السيد عبد العزيز سالم : " المسجد الجامع بالقيروان " مقال بكتاب بيوت الله ، مساجد ومعاهد ، الجزء الثانى (كتاب الشعب ، العدد ٧٨) القاهرة ١٩٦٠، ص ١٧٠ – ١٧٣

٤٣ سليمان مصطفى زبيس : المرجع السابق ص ٣٢ .

44Derek Hill And Lucien Golvin : Islamic Architecture In Narth Africa , London 1976 , p . 98 .

العمائر المشيدة وفق الطراز العثماني بدليل أن سوريا نظرا لقربها من إستانبول شيد بها تسع عمائر عثمانية الطراز (٤في حلب و٥ في دمشق)[٤٥]. وبعبارة أخرى فإن عدد العمائر العثمانية ارتبط بشكل أو بآخر بالقرب من مركز السلطة وبحيوية الوجود العثمانى . أيضا كان هناك سبب اقتصادى وراء هذه الظاهرة وهو ضعف الإمكانيات المادية التى كانت تتمتع بها الولايات العربية مقارنة بتركيا مقر الدولة العثمانية، ولهذا السبب لم يستطع الولاة العثمانيون سواء في تونس أو غيرها من الولايات العربية الأخرى من إقامة مجمعات معمارية ضخمة تنافس مثيلاتها في إستانبول وغيرها من مدن الأناضول ، وبالرغم من ذلك فقد استطاع هؤلاء الولاة والبايات بتونس من إقامة بعض المنشآت وفق الإمكانيات المتاحة لهم ،وعبرت هذه المنشآت بصدق عن الطراز السائد في ذلك العصر في تلك البلاد وهو الطراز العثماني المتأثر بالأساليب الفنية المحلية، ويعبر جامع سيدى محرز في تونس بشكل جيد عن ذلك الطراز .

مراجع البحث

أولا : المراجع العربية

ـ البارون الفونص روسو : الحوليات التونسية منذ الفتح العربى حتى احتلال فرنسا للجزائر

ترجمة وتحقيق محمد عبد الكريم الوافى ،منشورات قاريونس، بنغازى ١٩٩٢.

– السيد عبد العزيز سالم : "المسجد الجامع بالقيروان " مقال بكتاب بيوت الله ، مساجد ومعاهد،

الجزء الثانى (كتاب الشعب ، العدد ٧٨) القاهرة ١٩٦٠ .

ـ اندريه ريمون : العواصم العربية ، عمارتها وعمرانها فى الفترة العثمانية، ترجمة قاسم طوير ، دار المجد ، دمشق ١٩٨٦.

..... : " العمارة فى البلدان العربية فى العصر العثمانى " مقال بكتاب تاريخ الدولة

العثمانية ، الجزء الثانى ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ١٩٩٣ .

ـ اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول) إستانبول .١٩٨.

ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩٣

– ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة في العهد العثماني ، القاهرة ١٩٨٤ .

ـ سليمان مصطفى زبيس : بين الآثار الإسلامية فى تونس ، منشورات دار الثقافة ، تونس ١٩٦٣.

ـ صلاح العقاد : المغرب العربى ، دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، ط ٥ ،

مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥

[٤٥] **اندرية ريمون : " العمارة في البلدان العربية في العصر العثماني " مقال بكتاب تاريخ الدولة العثمانية ، جـ٢ ، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٤٠٩ .**

ـ عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥

ـ عبد الله عطية عبد الحافظ : " نمازج من منشآت ولاة مصر العثمانيين فى إستانبول " مقال بكتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى (٣٠ نوفمبر ـ ١ ديسمبر ١٩٩٨) القاهرة ١٩٩٩ .

ـ ..... : " الجوامع العثمانية المبكرة فى إستانبول " مقال بمجلة كلية الآداب جامعة المنصورة ، العدد السادس والعشرون ، الجزء الأول، يناير ٢٠٠٠

ـ محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الأزدهار والزبول ، تونس ١٩٧٤ .

ثانيا : المراجع العثمانية

ـ شمس الدين سامى : قاموس تركى ، ط ٢ ، إستانبول ١٩٨٧

ـ محمد ثريا : سجل عثمانى ياخود تذكره مشاهير عثمانية ، جلد ٣ ، إستانبول ١٣١١ هـ

ثالثا : المراجع التركية والأجنبية

- ABDULHAFIZ , Abdullah . A : Osmanli Döneminde Istanbul ile Kahire Arasinda Mimari Etkileşimler , (I . Ű . Ed . Fak . Sanat Tarihi Bl . Yayinlanmamiş Doktora Tezi) Istanbul 1994.
- ALTUN, Ara " Dőrt Yarim Kubbeli Cami Plan Şemasinin Kaynaklari Hakkindaki Görűşler Űzerine "Tűrk kűltűrű Araştirmalari{Dr.Emel Esine Armağandan Ayri Basim}A. Ű. Basimevi , Ankara 1986 ,pp.1-5
- ASLANAPA , Oktay.: Edirne de Osmanli Devri Abideleri , Istanbul 1949
- ....: Osmanli Devri Mimarisi , Istanbul 1986
- ..... : Mimar Sinanin Hayati ve Eserleri , Ankara 1988.
- BAELHADJ, Marauf : Cezayir'de Merkezi Kubbeli Camiler (I .Ű. Ed. Fak . Sanat Trihi BI . Yayinlanmamiş Yűksek Lisans Tezi) Istanbul 1991.
- BALTACI , AHMET : Yemen Fatihi Sinan paşa Kűlliyesi (I.Ű. Ed. Fak . Sanat Tarihi Bl . Mezuniyet Tezi) Istanbul 1965 .
- DEDEOĞLU, Abdülkadir: Osmanlilar Albümü C. I (Osmanli Yayinevi) Istanbul Tarihsiz .
- DEREK Hill & LUCIEN Golvin : Islamic Architecture In North Africa , Landon 1976 .
- ETHEM , Halil : Camilerimiz , Istanbul 1932.

- GELIÇ, Ismet : Istanbul Camilerinde Yarim Kubbeler (I.Ü.Ed Fak . Sanat Tarihi. B1 . Tűrk Sanati Kűrsűsű Lisans Tezi) Istanbul 1973 .
- GOODWIN , Godfrey : Ahistory of Ottoman Architecture , London 1987.
- GŰNDOĞDU, Hamza : Dulkadirli Beyliği Mimarisi , Ankara 1986 .
- IZ , Fahir : " Bay " Islam Ansiklopedisi , C . 2 (Milli Eğitim Basimevi) Istanbul 1986 , PP. 355 – 357 .
- KOÇU , Reşad Ekrem : Osmanli padişahlari , Istanbul 1981
- KURAN, Aptullah : Ilk Devir Osmanali Mimarisinde Cami , Ankara 1964 .
- MARÇAIS George : L' Architecture Musulmane d O ccident , Paris 1954
- ŐNEY , Gönűl " Çini ve Seramik" Geleneksel Tűrk Sanatlari , (Kűltűr Bakanliği Yayinlari) Istanbul 1993 PP . 77- 111.
- ÖZ , Tahsin : Istanbul Camileri , C . 1 , 2 . Baski, , Ankara 1987
- PAKLIN , Mehmet Zeki : Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü, C . 1 , 3. Baski , Istanbul 1983.
- TOMKINSON , Michael : Tunisia , 7 edition , Oxford 1999
- TURAN , Şerafettin :" Sinan Paşa , Koca " Islam Ansiklopedisi , C . 10(Istanbul Milli Eğitim Basimevi) Istanbul 1979
- UZUNÇARŞILI , Ismail . H : Osmanli Tarihi , C . II . III , 1. Kisim, 4 . Baski (Tűrk Tarih Kurumu Basimevi) Ankara 1988
- .....: Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu , Karakoyunlu Devletleri , 4 . Baski (Tűrk Tarih Kurumu Basimevi) Ankara 1988

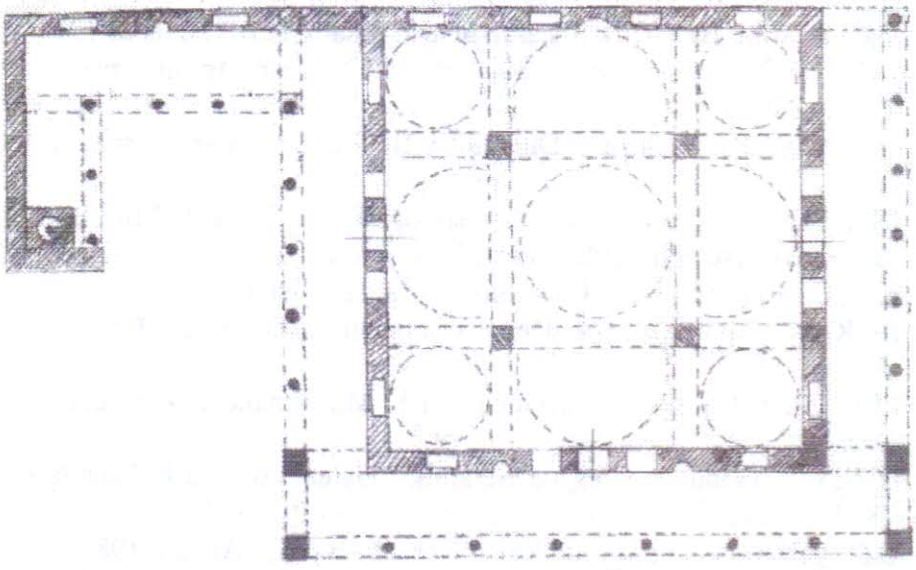

شكل (١)
مسقط أفقي لجامع سيدي محرز في تونس (من عمل الباحث)

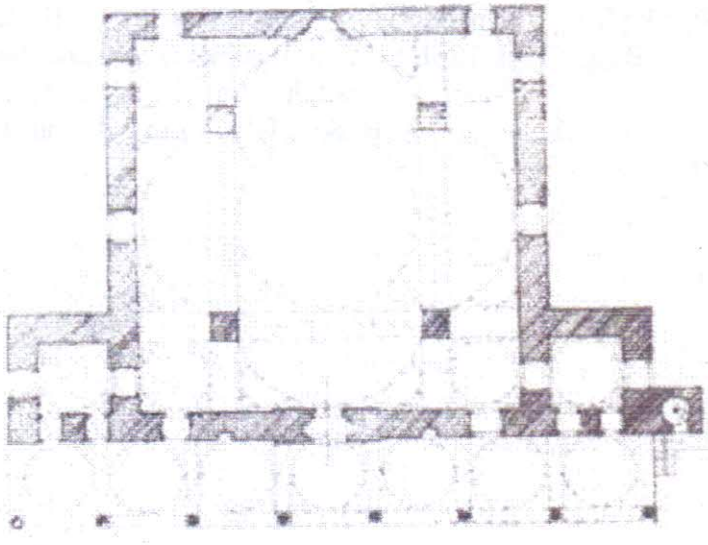

شكل (٢)
مسقط أفقي لجامع فاتح باشا (بيقلي محمد باشا) في ديار بكر
عن (Ara Altun)

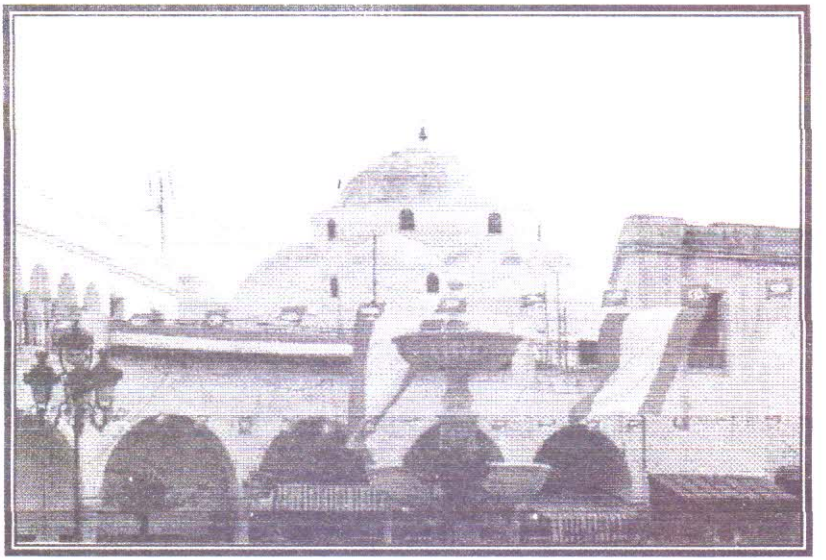

لوحة رقم (١)
منظر عام لجامع سيدي محرز .

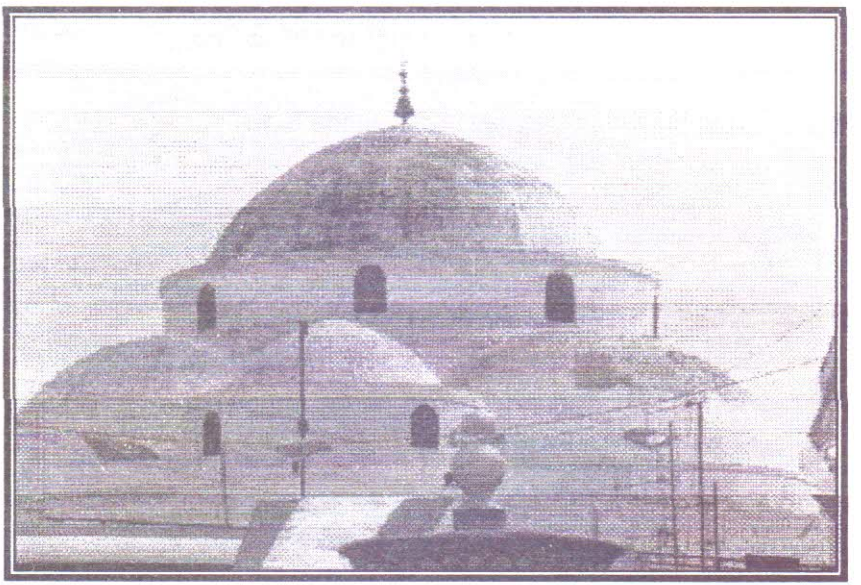

لوحة رقم (٢)
القبة المركزية وأنصاف القباب بجامع سيدي محرز .

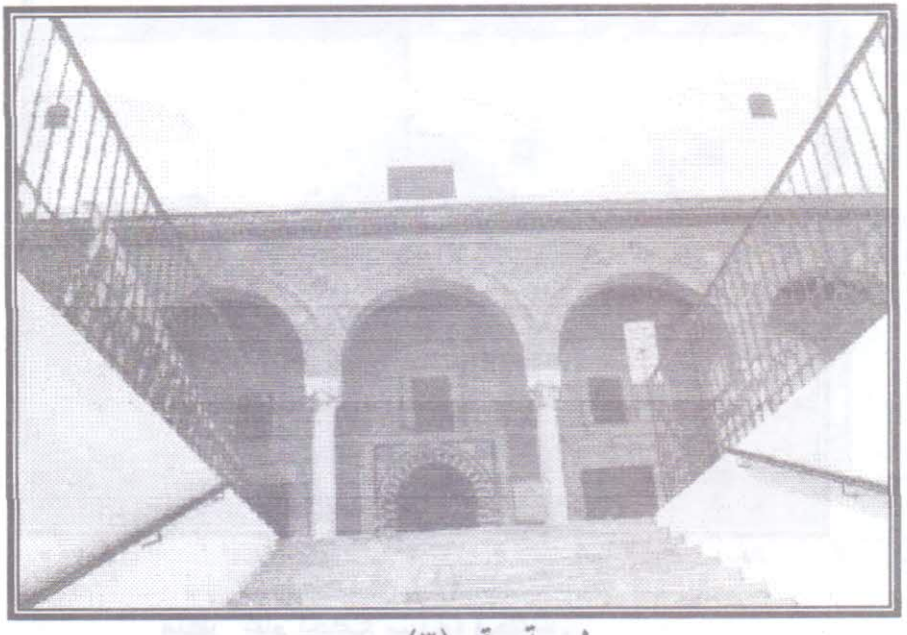

لوحة رقم (٣)
السلم الصاعد لجامع سيدي محرز في الناحية الغربية.

لوحة رقم (٤)
منظر عام للأروقة الخارجية بجامع سيدي محرز .

لوحة رقم (٥)
منظر عام لجامع سيدي محرز من الفناء المحيط به من الخارج .

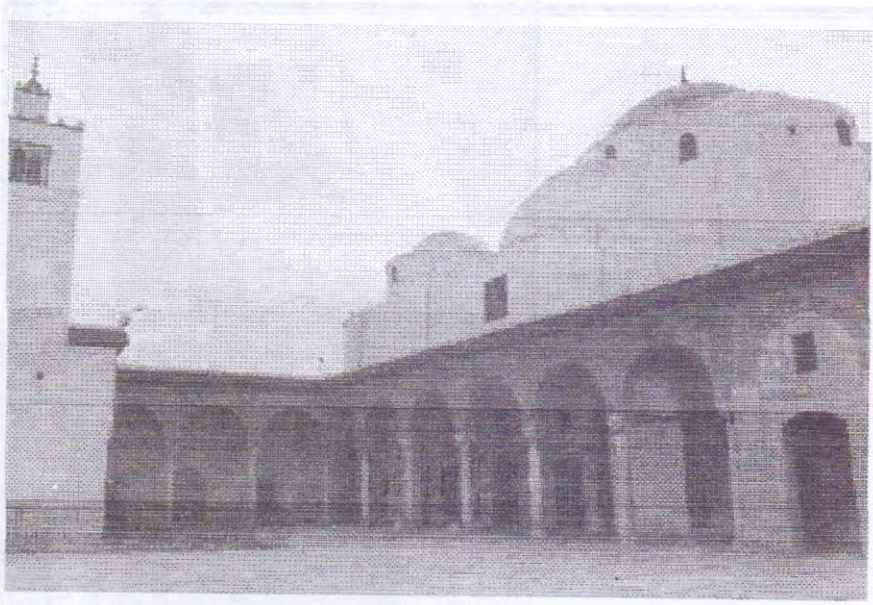

لوحة رقم (٦)
جامع سيدي محرز والمئذنة .

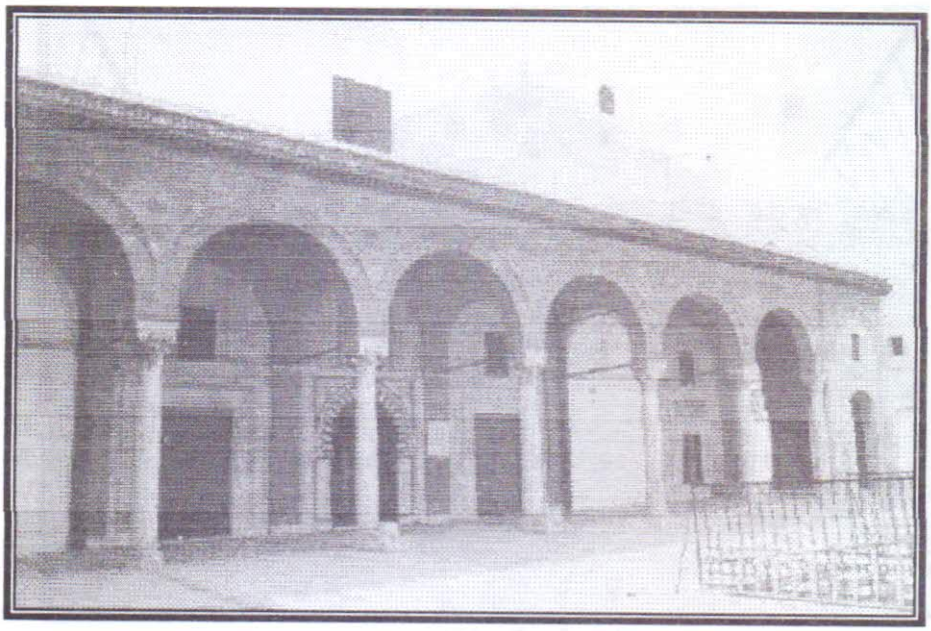

لوحة رقم (٧)
الرواق الغربي الخارجي بجامع سيدي محرز .

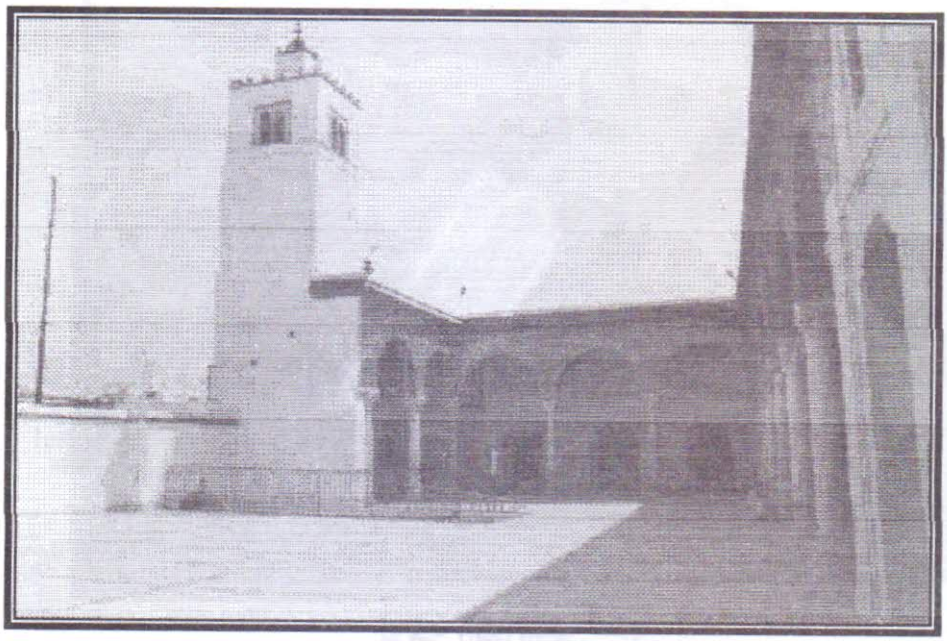

لوحة رقم (٨)
مئذنة جامع سيدي محرز .

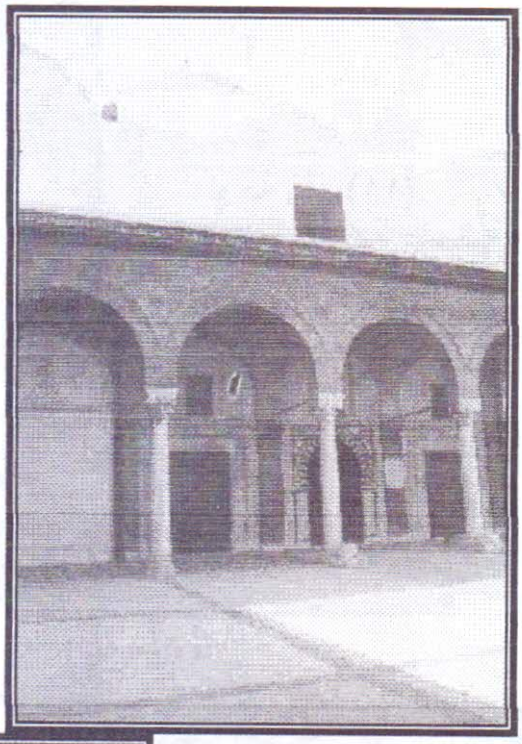

لوحة رقم (٩)
جزء من الرواق الأمامي في
الجهة الغربية للجامع .

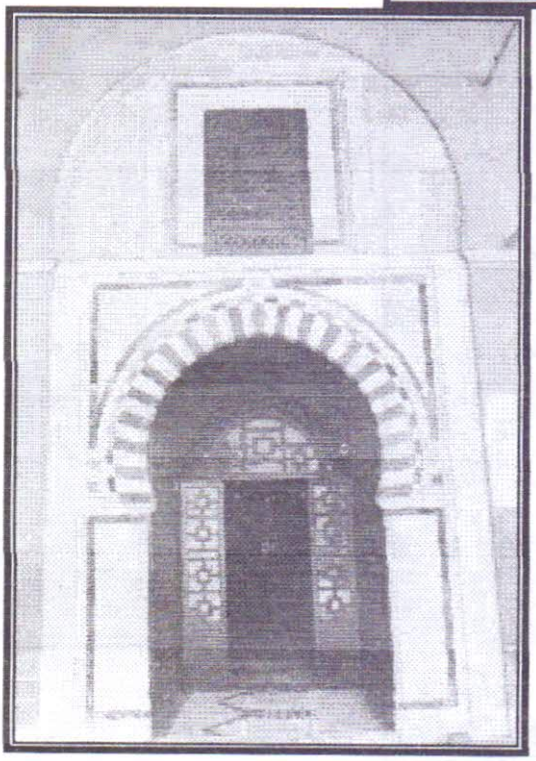

لوحة رقم (١٠)
مدخل الجامع بالجهة
الغربية.

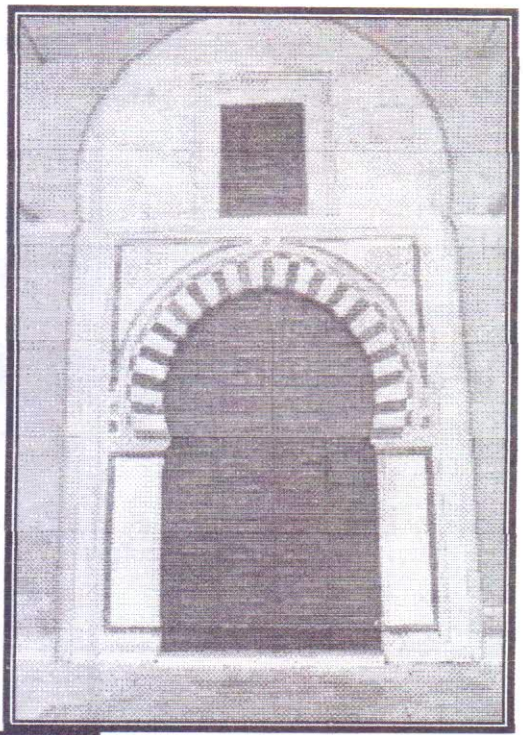

لوحة رقم (١١)
مدخل الجامع بالجهة الشمالية

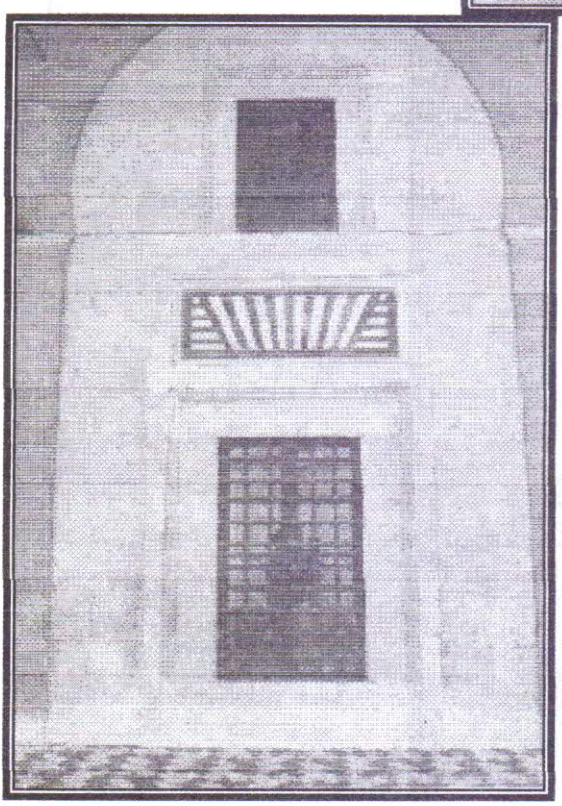

لوحة رقم (١٢)
أحد شبابيك الجامع المطلة علي
الرواق الشمالي

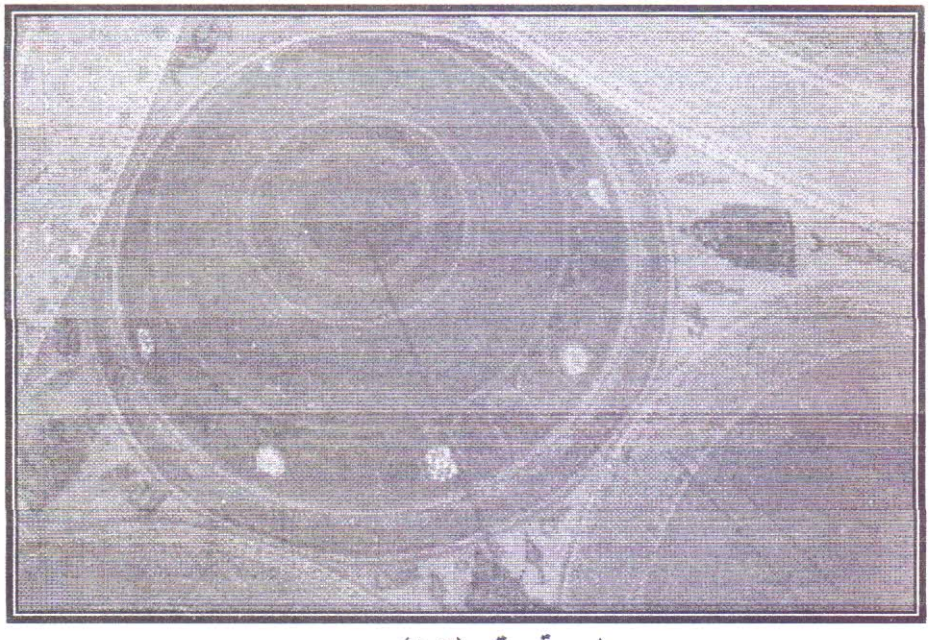

لوحة رقم (١٣)
باطن القبة الرئيسية بجامع سيدي محرز .

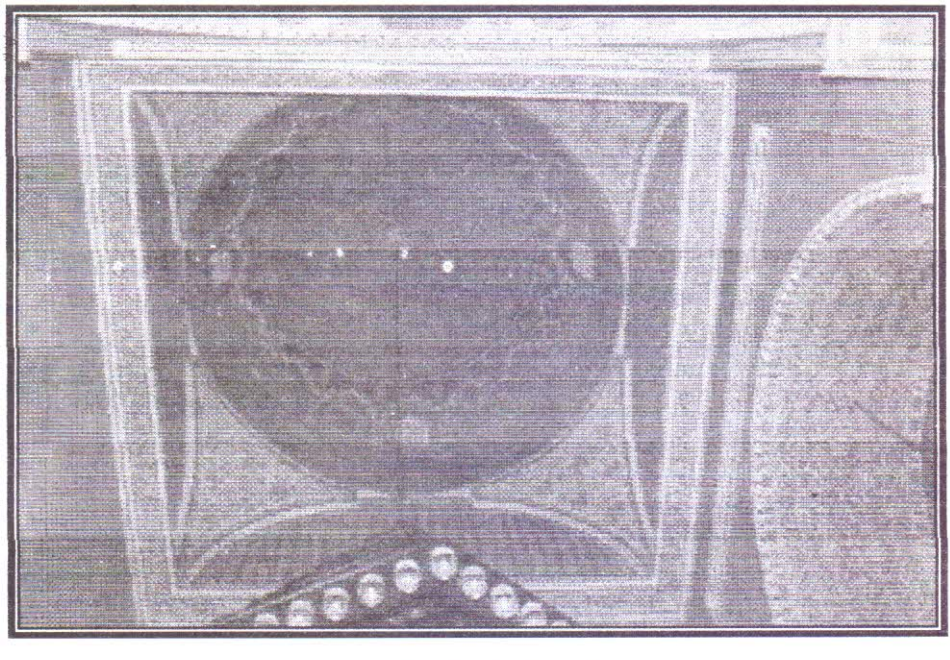

لوحة رقم (١٤)
باطن إحدى القباب الصغري بالجامع.

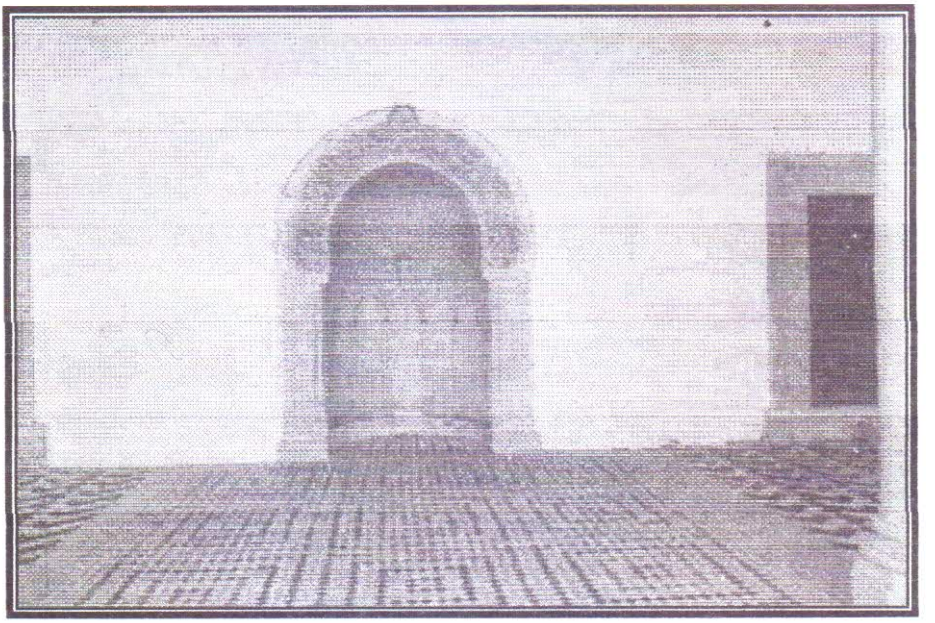

لوحة رقم (١٥)
محراب خارجي يطل علي الرواق الشمالي بالجامع

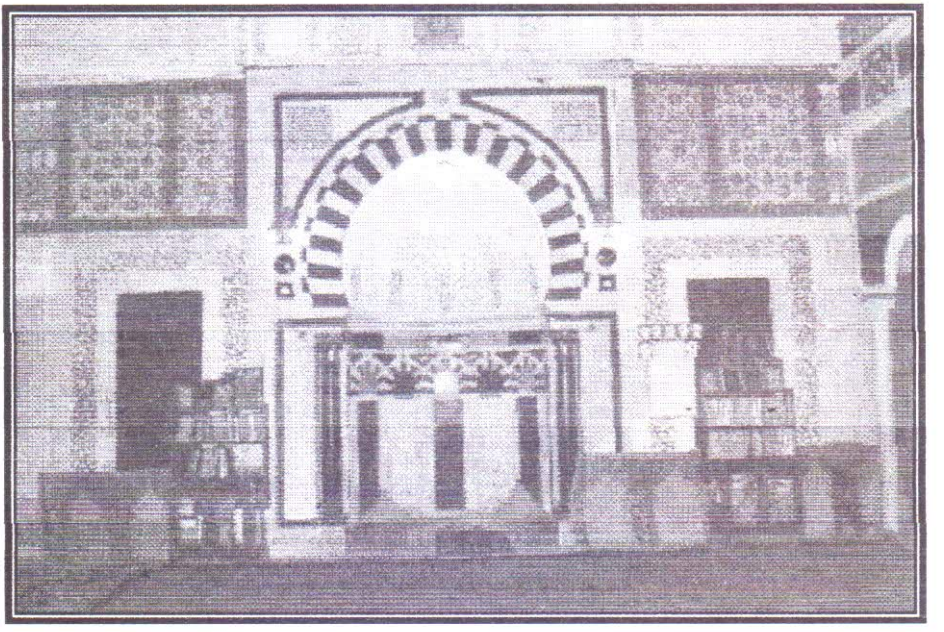

لوحة رقم (١٦)
محراب جامع سيدي محرز .

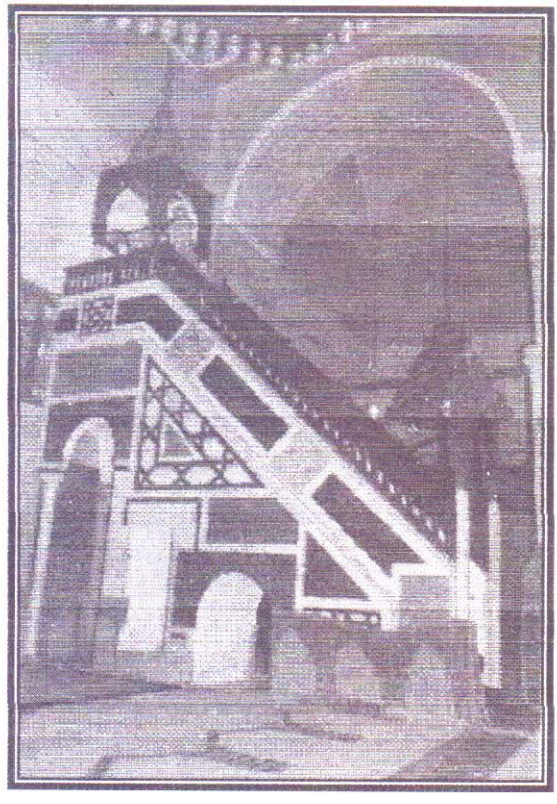

لوحة رقم (١٧)
المنبر الرخامي بجامع سيدي محرز .

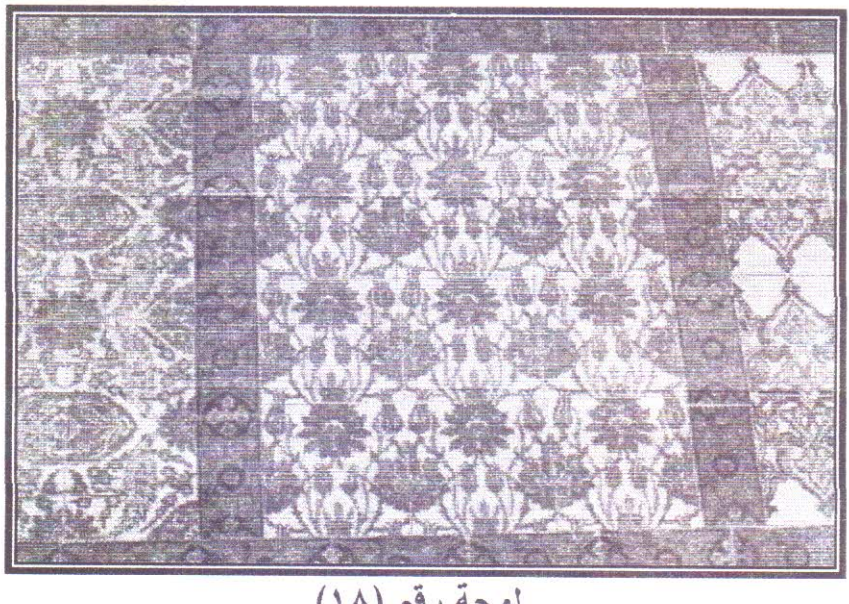

لوحة رقم (١٨)
تجميعة خزفية بالقسم العلوي من جدار القبلة علي يمين المحراب

لوحة رقم (١٩)
تجميعة خزفية بأحد الدعائم الأربعة الحاملة للقبة المركزية.

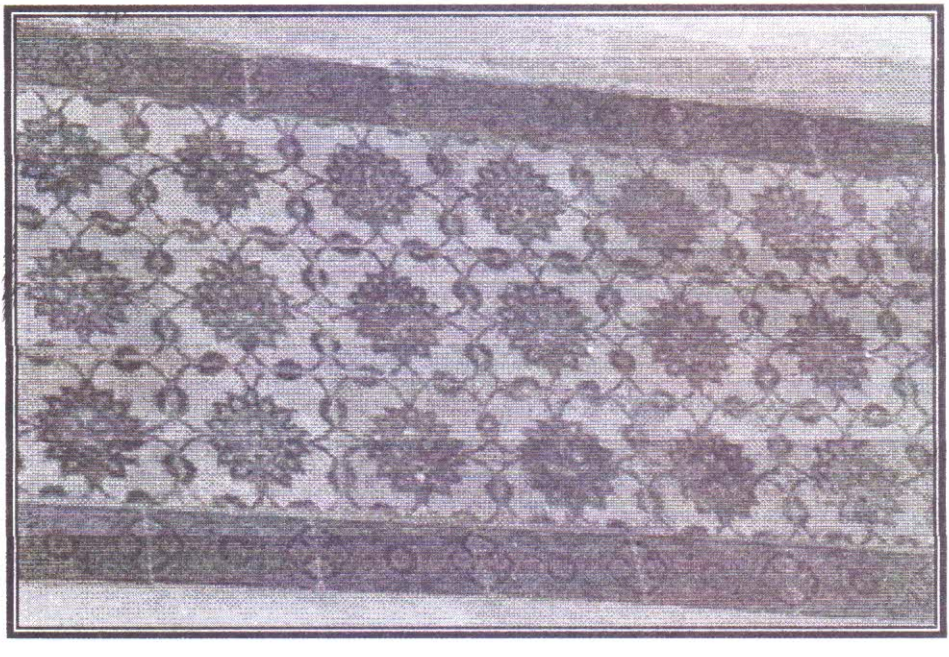

لوحة رقم (٢٠)
بلاطات خزفية بالقسم العلوي من جدار القبلة علي يسار المحراب.

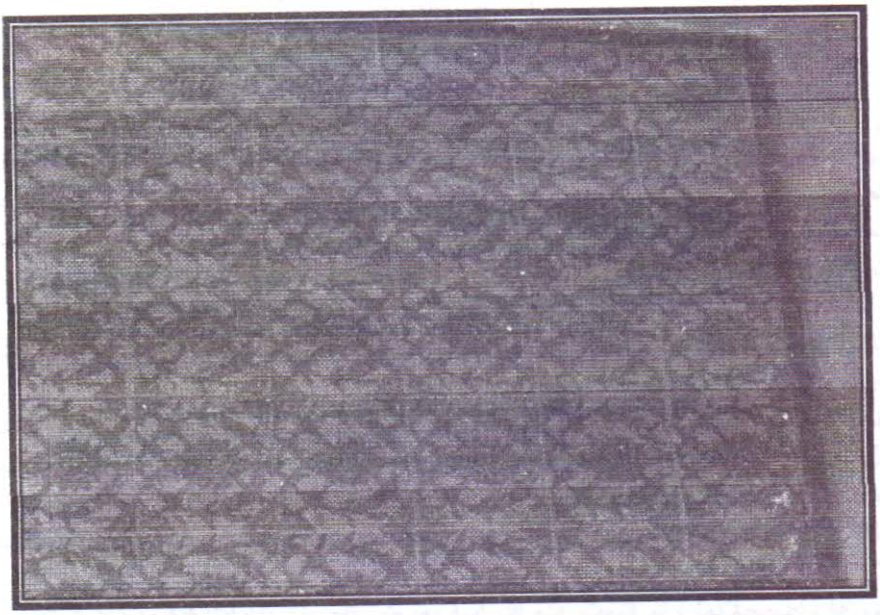

لوحة رقم (٢١)

بلاطات خزفية بأحد الدعائم الأربعة الحاملة للقبة الرئيسية.